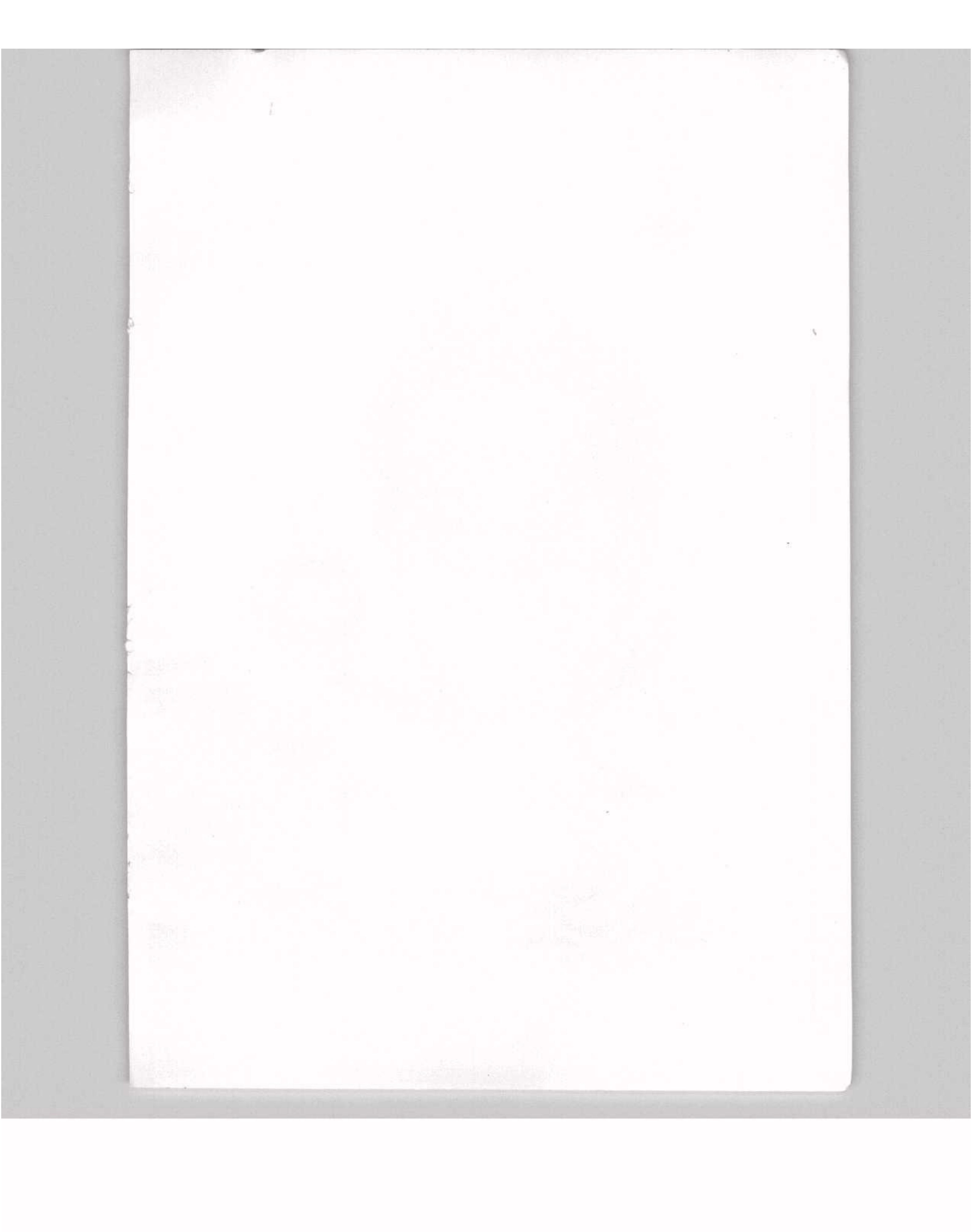
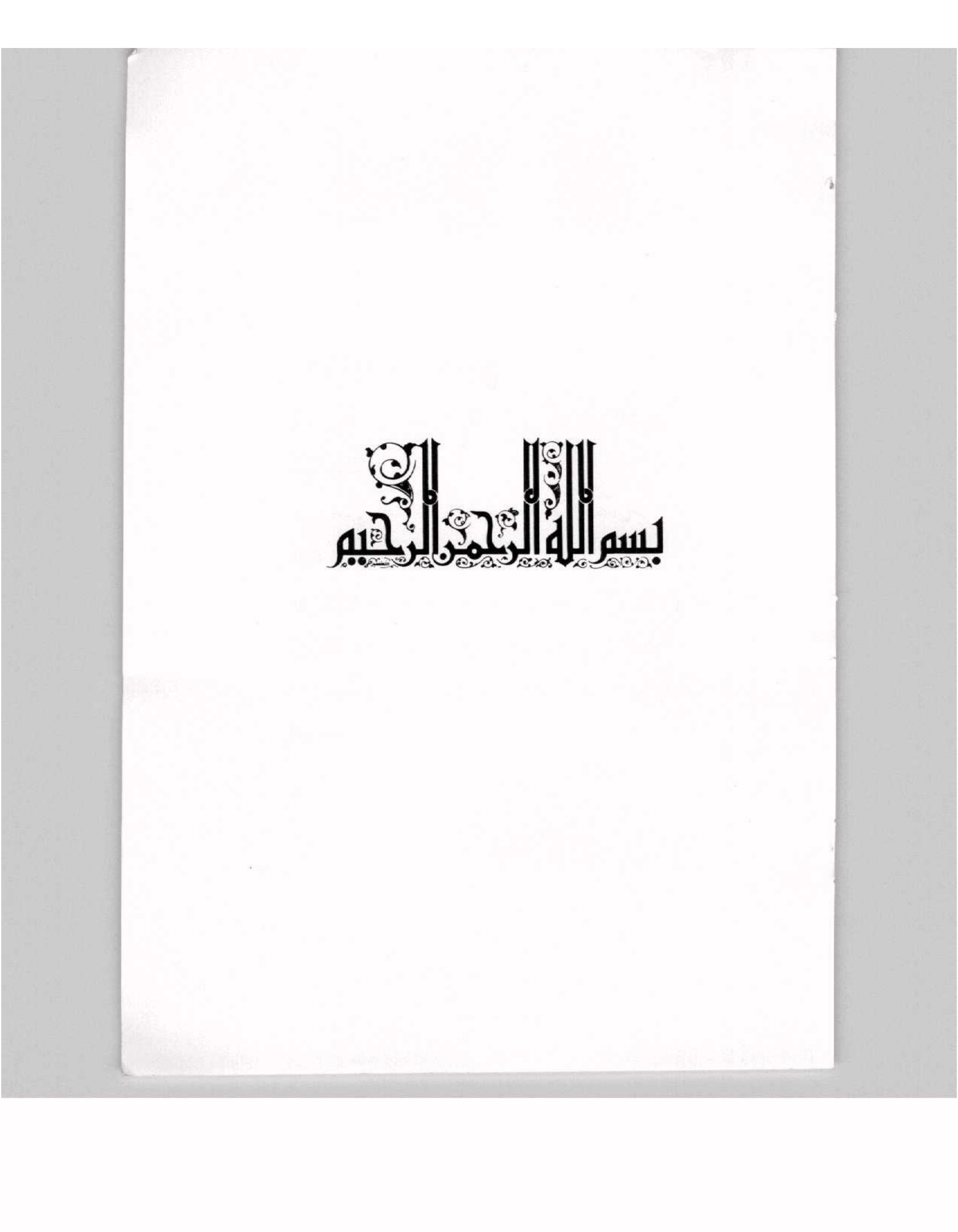

رحلة السندباد..
في أعماق الجهاد




بسم الله الرحمن الرحيم

إلى ابنتي أماني ...

أمنية طالما أردت أن تكون ضمن أمانيك .

وحلم أبدي أريده أن يتحقق لك ولجيلك .

وهو أن يعيش الإنسان في كل زمان ومكان في حالة حب دائم لما حوله من أشياء .. وبهذا الحب تكون غاية السعادة .

محمد مصطفى

مقدمة

السندباد في رحلة جديدة..

بقلم
السيد ذكري
عضو اتحاد كتاب مصر

السندباد الرحال

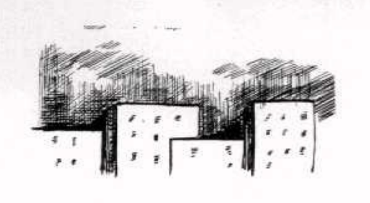
كم طاف بنا في عالم السحر والخيال .. والجمال

وكم قرأنا وسمعنا ، وشاهدنا السندباد وهو يحلق بنا في ظل الاجواء .. في البحر والبر .. وفي عالم الفضاء .

ولكننا — اليوم — نرى السندباد ، يغوص في اعماق الجماد .. انه يحرك الصخر والصلب ، والخشب .. انه يداعب الاشياء الصماء . فتنطق بالصدق ، تعترف بلا كذب او رياء .

في هذه الرحلة الجديدة مع « السندباد » وهو يطوف في اعماق الجماد .. عشت مع نفسي لحظات من الشفافية المجردة من كل ما يشغل بال الانسان في ماديات الحياة ، عشت مع السندباد باحساساتي ، وخيالاتي .. تصورت ان كل شيء « جامد » حولي ينطق يكلمني .. يعاتبني أو يشكرني ، يداعبني ، أو يزجرني .





تخيلت ان « التليفون » ــ بعد محادثة خاصة ــ ينظر الي « بعيونه العشر » نظرات تحمل كل معاني الشكر ، لاني قمت بعمل انساني من خلاله .
حقا .. ما اروع هذا الاحساس

تخيلت .. وأنا جالس على الكرسي المريح ، وقد انتابتني نوبة كسل مع فنجاني وسيجارتي ، ونسيت .. أو تناسيت .. وتكاسلت عن موعد عمل ، أو لقاء .

تخيلت ــ ان الكرسي ــ يهزني ، يدفعني ، وهو يقول لي :
قم ، انهض ، اتركني استرح منك واذهب الى موعدك أيها الكسول .. ويشدني السندباد لأستمتع معه بما يدور بين الجماد والانسان في اسلوب ممتع وشيق كأنه الهمس بين صديق وصديق .

فما ارق خيال الكاتب الاديب ، وهو يجعل الطائرة الرابضة على ارض المطار تخاطب ركابها قبل اقلاعها وبعد أن تستوى على متن السحاب ، تحدثهم وكأنها تشعر بما يدور ويعتمل في قلب كل راكب منهم ، فتقول :
« عندما تركت الارض ، واتجهت بأنفي شامخة نحو السماء .. وبعد دقائق كنت قد استويت في الجو في مساري المحسوب « فأنا أحب السماء ، واشعر بالفخر والاعتزاز وفي ذمتي كل هذه الارواح ، أطوي بها المسافات كلمح البصر ..

كان واضحا ان ركابي قد أحسوا بما هم مقبلون عليه من خطر ، تصاعدت منهم الابتهالات بصوت خفيض : يا رب .. يا رب سمعتها بكل اللغات وشعرت بها بمختلف الاحاسيس رأيت وسمعت الملائكة من حول هؤلاء الناس الذين انقلبوا فجأة الى الله يدعونه تضرعا وخفية ، بعد ان كانوا ــ قبل قليل ــ أقرب الى الشيطان ..





بهذا المنطق الساحر ، والاسلوب الساحر يبعث المؤلف الحياة في الجماد ، فيجعله ينطق بمشاعر الانسان وأحاسيسه في أرق وأخطر لحظات حياته .. ومن غير الجماد يمكنه أن يصارح الانسان ويهمس له بالحقيقة .. بل ويسخر منه ويضعه في حجمه بكل الصدق والجرأة ، كما قالت له الطائرة ؟ ..

وما أبرع وارق ذلك الحديث الذي جاء على لسان « سماعة الطبيب » ماذا قالت للانسان ، وهي تعيش اسراره ، وتستمع الى دقات قلبه ، وتعرف المريض والمتمارض ؟ ..

وينتقل بنا المؤلف مع سندباده في رحلته ، من شاطيء البحر الى « المرآة » والتليفزيون والدينار .. والفستان وغيرها من النماذج والانماط التي تعيش مع الناس .. كل الناس . تعد انفاسهم وتنقد اعمالهم ، ثم تهيؤهم ــ بالمنطق السليم . لكل ما من شأنه أن يسعد الانسان .

اذن .. ماذا يجري لو عاش الانسان ــ ولو لحظات ــ مع خياله ؟ .

ماذا يحدث لو استمع الانسان لكل شيء حوله يكلمه ؟ .

انها حقا رحلة تستحق منا ان نطوفها مع « السندباد » في أعماق الجماد » لنستمع الى الصوت الصادق وهو ينبع من اعماقنا .. ومن ضمائرنا على لسان كل شيء حولنا .

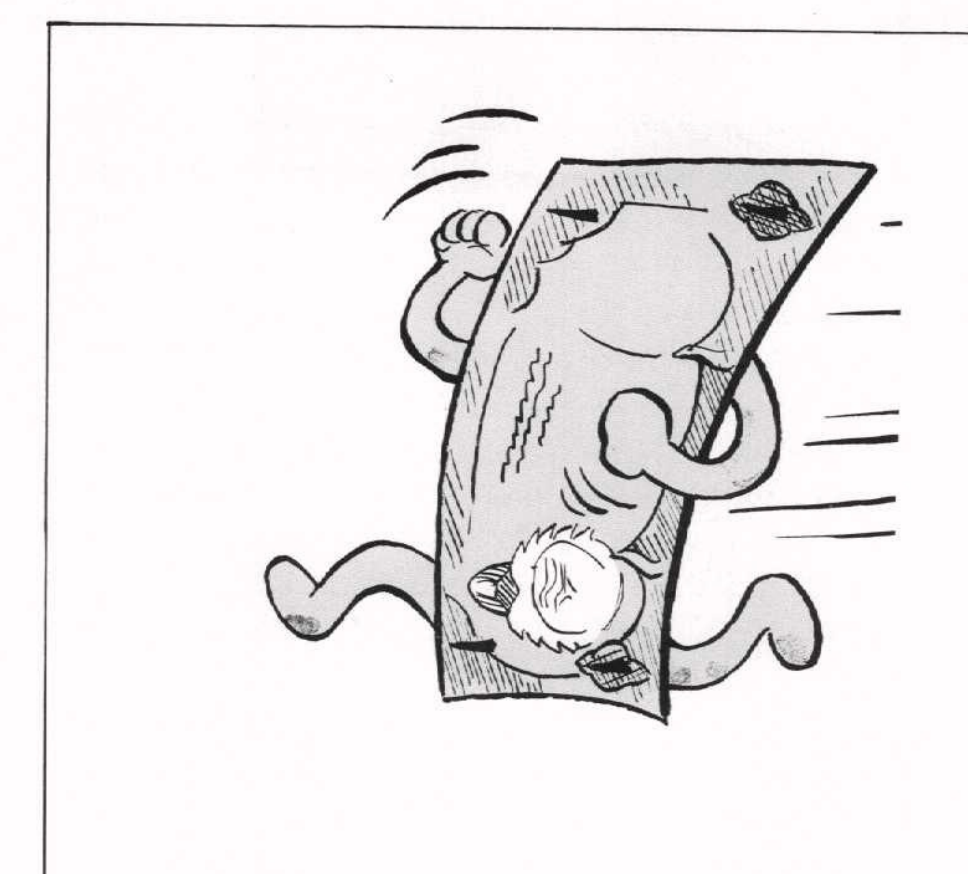
انها تجربة جديدة عاشها مؤلفها الاديب محمد مصطفى ، وعشتها معه ، طفت فيها مع سندباده ، وهو ينتقل بي في رحلة ممتعة شيقة من مكان .. الى مكان .. مع كل شيء سخره الله لخدمة الانسان .



يوميات دينار

أنا . . من أنا . . ؟!

أنـا صاحب القـوة والسلطـان ، أنـا مجمـع الأحبـاب والنـدمـان ، وأنـا أيضا مفرق الاصـدقـاء والخـلان ، على يجتمعـون وبسببي يفـترقـون ، يحبني البخـلاء ولا يملون صحبتي ، لا يستغني عنـي انسـان حتى الـزاهـدون والنسـاك وان كانـوا يعاملونني بحذر ، ويخـافـون مني الفتنة ، يحبني الموظف ويكرهني في نفس الوقت ، فهو يحب امتلاكي في رأس كل شهر ولكنه يكرهني أيضا لانه لا يستطيع حبسي لديه الا لأيام قليلة ، أنا أحب صحبة الغني لانضم الى بنى جنسي ليصبح لنا قوة وقيمة نفخر بهما ، وأنا لا أحب البخيل ولو أنه يحبني أكثر من أي شيء في هذه الدنيا . . لا أحب صحبته لانها تصبح سجنا مؤبدا . . وأنا في الحقيقة لا أحب الفقير ولذلك فلقائي به لقاء الغرباء . . نلتقي لنتفرق في أقرب فرصة .



هل استطعت أن أقدم اليكم نفسي ؟!

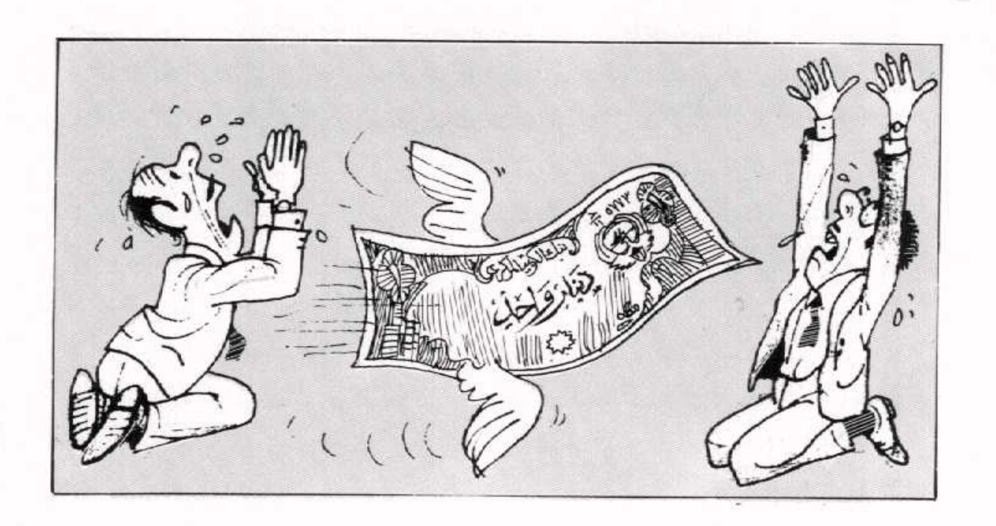
أنا الدينار . . ذو الحظوة والصولجان ، أنا الاصفر الرنان ، وهذا هو اسمي القديم يوم كنت من الـذهب ، ومن يوم جئت لهذه الـدنيـا وسيلة للتعـامـل بين النـاس وأنـا أحتـل أسمي مكان . . وبالرغم من أنني قد صرت مصنوعا من الورق الا ان قوتي ومكانتي في هذه الدنيا ستظلان على الدوام محفوظتان . .

يتعب الانسان ويشقى ليحصل على في غالب الاحيان ، ولكن لكل قاعدة شواذ ، فبعض الناس ينالوني دون تعب أوكلل . . أذهب اليهم بحكم الوراثة أوثراء ذويهم وهؤ لاء هم المحظوظون .

وأنـا سلاح ذو حدين ، فالعـاقـل يستخدمني في قضاء حاجاته وحاجات الناس وبناء

البلاد والابناء ، أما السفيه فيهدرني فيما يضره ويضر غيره فيضيعني على موائد القمار أو موائد الكئوس واللهو غير البر ىء فيعود عليه ذلك وعلى أسرته ومجتمعه وأمته بالخراب والدمار . . وبعضهم يستخدمني وقد ملكه الجشع والطمع . . فهو يريد مضاعفتي دون جهد بين يوم وليلة ، وبدلا من سلوك طريق القمار على الموائد الخضراء ، فأنه يلجأ الى لعبة لا تختلف في جوهرها عن لعبة القمار الاصلية ، وما هي الا لعبة جديدة اسمها لعبة الاسهم ، فهو يشتر ي الالاف من هذه الاسهم ، وكأنه يشتر ى آلافاً من أوراق اليانصيب ممنيا النفس بارتفاع الاسعار ، انه يرى غيره وقد أثرى بين يوم وليلة ، ويغض الطرف عن الالاف غيره الذين خسرَوا وضاعوا بنفس اللعبة ، وقد يكسب يوما ويخسر أياما ، ومصحات الاعصاب تشهد الضحايا يقذفون فيها بلا رحمة بعد أن أضاعوا الفلوس والعقار ، وأخذ أبناؤ هم يصرخون طالبين النجده من الغرق في بحر اليأس والضياع . . مع أن هذه النهاية هي نهاية كل مقامر . . وقديما دالت دولة العرب بعد أن جعل حكامهم يقذفون بالالاف مني تحت أقدام الراقصات والغلمان ، أو بين أيدي المنافقين من الشعراء وبائعي فنون الكلام . .

سأنتقل بكم من العموميات الى شيء من التفصيل . أحكي لكم رحلتي منذ خرجت من البنك المركزي وسط حزمة تضم مئة أنا واحد منها ـ جاءوا بنا الى أحد أغنياء التجار ، قبل أحد الاعياد بأيام ، في يوم العيد أعطاني ضمن عشرة أشقاء الى ابنه الصغير الذي لا يعدو سن العاشرة ، وما هي الا دقائق حتى كنت أستقر في خزانة البقال المجاور ثمنا للعبة بلاستيكية ، في اليوم التالي كنت في خزانة فرع الجملة بالجمعية التعاونية ، وفي التاسعة من صباح نفس اليوم كان « عم كريم » عامل الفرع قد جمع من هبات الزبائن خردة تساوي دينارا ، جاء بها لمسئول الفرع طالبا منه تجميدها في صورة دينار . . بشرط أن لا يكون جديدا . . انتقاني المسئول من بين الجميع في الخزانة وأعطاني لعم كريم ، وفي اخر اليوم كان قد ضم الى جواري ثلاثة أشقاء اخرين وكان قد جمع خردة تساوي دينارا اخر . . فأخذنا جميعا الى المسئول ليجمد له خمسة دنانير ـ شرط أن تكون جديدة !! وبذلك عدت لخزانة المسؤول مرة أخرى . . وفهمت أن عم كريم كان يجمع من هبات الزبائن الذين يحمل لهم مشترواتهم الى سياراتهم خمسة دنانير يوميا . . قد تزيد في المواسم والاعياد الى عشرة أو أكثر . . وقد تقل في بعض الايام عن ذلك ، ولكني فهمت من تضاحك المسئول معه كلما جمع خردة الدينار وجاء ليجمده ، أن عم كريم يعتقد أنني الظهر والسند ، وأنني



الـداء والـدواء ، فكثـيرا ما ورد على مسمـع مني ذلـك اليوم عبارة كدت أحفظها . . يقول للمسئول :

ـ يا ابني اللى ما معه فلس ما يسوى فلس . . !

ويرد عليه المسئول الشاب :

ـ وماذا تفعل يا عم كريم عندما تهاجم الام الروماتيزم ركبتك ؟!

يرفـع عم كريم رجـل البنطلون عن ساقـه ويضـع يدا عن يمـين الـركبة واخرى عن يسارها وكأنما يمثل وضع ضمادتين متقابلتين قائلا :

ـ أضـع ورقـة بعشـرة هنـا . . وورقـة بعشـرة مقابلها . . وأربط عليهما وأنام . . وفي الصباح تكـون الالام قد زالت وكأنـه السحر . . ويضحك المسئول الشاب ويضحك كريم العجوز وهـو يعلم أنهـا نكتـة مكررة ، يلجآن لها للتخفيف من رتابة العمل ومللـه . . فهما يعرفان ان كريـما لا يشكـو من الـرومـاتيـزم وأن ضمادة العشـرات لا تفيـد في علاجـه ، والحقيقة التـي سمعتها على لسان الشاب يحكيها لصديقه . . إن عم كريم يعول ببلده على البعد أما وأبا عجوزين وزوجة وأطفالا وابنته التي مات عنها زوجها بعد ان ترك برقبتها طفلا وجنينا وفاقة لا يقوون على مواجهتها . .

وعجبت كيف أنني خلال يومين أهدرت في لعبة لا قيمة لها ، وأكرمت بكريم يفتح بي بيتا على البعد ويسد بي حاجة ويسد طاقة الفقر الذي هو مدخل كل رذيلة !! في اليوم التالي

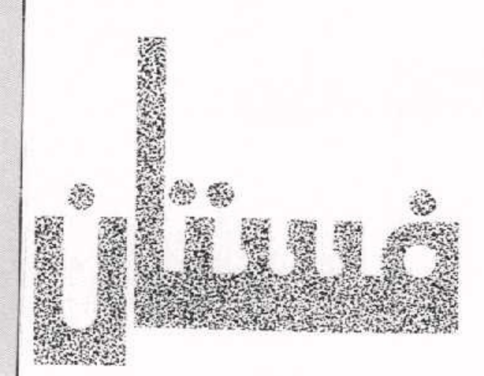
أخذت ضمن مدخول الجمعية الى حسابها بالبنك ، وأدور وأدور بين أنماط عديدة من البشر من خلال معـامـلاتهم . . ففي خلال أسبـوع كنت قد دخلت كقطـرة في بحـر ضمن أرباح شركة من كبريات شركات بيع السيارات ثم كنت جزءا في ثوب نسائي غالي الثمن ، ثم في جيب حمال بشـبرة الخضـار ، ثم في جيب صاحب مطعم ، ثم في مصـروف تلميـذ ، ثم في جيب وزيـر وهكـذا ادارت بي الايـام حتى دخلت سجنـا لا أظنني سأستطيع منه فكاكا . . فقد دخلت في خزانة بخيل ضمني الى اخوة لي سبقوني وما أظن اننا سنخرج الى الدنيا الا بخروجه هو منها .

. . وأنا الان في سجني ، ليس لي من سلوى سوى أبيات شعر سمعتها أثناء تنقلاتي الكثـيرة بين جيـوب النـاس ، تلك الابيـات التي أنشدها وسط زملائي بين حين واخر على سبيل الفكاهة والترويـح والتأمـل :

أظهروا للذين نسكا . . . وعلى الدينـار داروا
ولـه صلـوا وصامـوا . . . ولــه حجـوا وزاروا
ان يكن فوق الثريا . . . ولهـم ريش لطــاروا

« دينـــار »





فستان

منذ ايام انتهى الخياط من إعـدادي واصبـح لي كيـــان ... اصبحـت (فستانا) جميلا ... نقلوني الى احد ارقى محلات الازياء بالمدينة ، حيـث عاملوني برقة بالغة ، وضعوني في مكان بارز من صندوق زجاجي كبير مغمور بالاضواء يقال له « فترينة العرض » وقد فردوا جسمي وصلبوه على جسد رشيق ولكنه بارد بلا روح ، اذ انه بلاستيكي من صنع الانسان .. وقد حددوا ثمني بورقة شبكوهـا فوق صدري تحمـل الرقم ــ ٦٠ دينار ...

* * *

امام المحل .. وقفت سيارة فارهة ، نزل

منها رجل وابنته .. هذا ما ظننته في بادىء الامر ، ما ان وقع نظر الحسناء الصغيرة علي حتى اعلنت إعجابها بي ، ورغبتها في اقتنائي فوافق الرجل على الفور .

بعد لحظات كنت والحسناء التي لا تجاوز العشرين ربيعا في غرفة ضيقة ولكن انيقة ، فقد ازدانت بالمرايا تكسو جدرانها ، خلعت الحسناء زميلي القديم وشرعت في ارتدائي بعناية واحتفاء ، وبينما كانت هي مشغولة باحكامي حول جسدها ، كنت انا مشغول باستراق السمع لحديث يدور بين البائعة ووالدها بالخارج .. قالت البائعة في صوت مجامل رقيق : « ان ذوق ابنتك يا سيدي ممتاز ، فقد اختارت اجمل فستان لدينا ... ... »

قاطعها الرجل بصوت حانق يرتعش بالغضب : « هي ليست ابنتي ايتها الحمقاء ... انها زوجتي ... »

* * *

تكهرب الجو وكادت البائعة المسكينة تتلاشى خوفا وخجلا ... ولكنها تماسكت .. ليس ذنبها ولا هي أخطأت – فقد كان واضحا ان الرجل قد تعدى الستين من العمر – بل كان من المعقول ان تقول له (حفيدتك) .. ولكنها بنفس الوقت لم تكن تدري الى اي مدى سيلحق بها الضرر بسبب ثورة الرجل ، وماذا لو رآه صاحب المحل ؟ .. اذن لا تهمها بعدم اللباقة وسوء معاملة الزبائن ..

طافت كل هذه الخواطر في لمحة خاطفة بخاطرها فبدا وجهها ابيض كالشمع بعد ان هربت منه الدماء ، ولم ينقذها مما



هي فيه سوى خروج الزوجة اليهما وهي ترتديني وقد برزت ملامح انوثتها .. قالت لزوجها وهي تدور بي حول نفسها في رشاقة ودلال :

– ما رأيك ..؟

اراد الرجل ان يسترد اعتباره ، ويثبت للبائعة انه كفء لأن يكون زوجا لهذه الحسناء وانه يستطيع بقوة شخصيته ان يفرض رأيه ... قال :

– انه جميل .. ولكنه ... قصير .. و ...

ردت الزوجة بحزم قاطع وهي تسدد نحوه نظرة محذرة :

– الطول مناسب .

بسرعة امتدت يد الكهل لجيبه واخرج حافظة نقوده ليعطي البائعة الستين دينارا دون ان يفتح فمه بحرف ...

* * *

بعد قليل كنت معهما في السيارة داخل لفافة تليق بمقامي ، قالت الزوجة وهما في الطريق الى المنزل :

– ما رأيك « يا حبيبي » ان نقيم حفلا

ندعو فيه الاهل والاصدقاء ، وارتدي فيه هذا الفستان الجميل ..؟
ارتعشت يده فوق عجلة القيادة ، وقال في غضب مكبوت :
ـ وما هي المناسبة التي سنقيم بها هذا الحفل ؟!
اجابت بعصبية لم تحاول اخفاءها وفي صوتها رنة من التأنيب والسخرية .
ـ وهل لا بد ان تكون هناك مناسبة ؟ وعلى اي حال فلتكن المناسبة هي الاحتفال بعيد ميلادي ..
ـ اذكر ان آخر احتفال بعيد ميلادك كان منذ شهرين .. و ..
قاطعته بعصبية :
ـ وهل تظن ان الناس يحسبون الايام او انهم سيتذكرون ؟
.. سيكون الحفل يوم الاثنين القادم ..

* * *

اليوم يومي .. منذ الصباح وسيدتي مشغولة لكي تكون نجم حفلها المتألق ذهبت الى الكوافير ليبقي رأسها الجميل تحت يده ساعتين يختار لها التسريحة التي تناسبني وعادت الى المنزل لتكمل زينتها وتضع عطرها ، وتناولتني برفق وحنان ، ووضعتني على جسمها في عناية واحتفاء ، وجعلت تنتقي من حليها الاجمل والاكثر بريقا ، كان المدعوون قد بدأوا في الحضور تباعا ، وكانت تريد ان تكون نجم حفلها المتألق ...
اطلت عليهم كالشمس المشرقة وقد ازدانت بي وزدت بهاء بجمالها ، الفستان الجميل يسعد عندما ترتديه الجميلة ، فالجمال يظهره الجمال تماما كالصورة الجميلة حين يبروزها اطارها الجميل ...
للحظة بدا الحضور وقد جمدوا في اماكنهم حين أطلت عليهم ، وكأنما أخذوا بسحر هذا الحسن المتكامل ، كانت نظراتهم خليطا من الاعجاب والحسد ، والدهشة والانبهار ، واحست هي بهذه اللحظة .. فابتسمت في سعادة وانتصار .. وسعدت سيدتي بهذه اللحظات ، كان الرجال ينظرون اليها نظرات لا تخلوا من الاشتهاء ، وحتى زوجاتهم لم يجدن الفرصة لرشقهم بنظرات التحذير والاستنكار ، فقد كن مشغولات بهذه الصورة الفريدة من الحسن والجمال ..
ولم تشأ صاحبتي ان تطيل هذه اللحظات ، فاقبلت على الضيوف في رشاقة ودلال تطلق نحوهم عبارات الترحيب والمجاملة .. وجعل الجميع يحاصرونها بمشاعر الود والاعجاب ، والتي كانت تصب جميعها في الاشادة بي وبجمالي الذي زاده رزانة جمال المضيفة الحسناء .
.. وكما ان لكل شيء نهاية .. ، كذلك فان للحظات السعادة ايضا نهاية ، فما استمر هذا الهناء سوى دقائق معدودات ، فقد دخلت حسناء اخرى مع زوجها ، وكانت المفاجأة للجميع انها ترتدي شقيقي ..
.. ، نفس اللون ونفس الموديل ، نعم شقيقي التوأم .. من قال ان الجماد ليس له اشقاء ..؟ لقد صنعتنا وتفننت في ملامحنا يد واحدة ...
تغير وجه سيدتي على الفور .. وكذلك وجه الضيفة الجديدة ، ولم تستطع

المساحيق الوردية ان تخفي تلك الصفرة التي زحفت على الوجوه في لحظة المفاجأة .. واحسست في داخلي بتخاذل سيدتي وقهرها ، ورأيت وجهها في المرآة المقابلة وكأن العمر قد قفز بها سنوات وسنوات ...

قالت الضيفة في نفاق لا يخلو من رنة انتصار :

– .. فستانك جميل .. من اين اشتريته ؟ ... انه يبدو عليك جميلا جدا ..

ردت سيدتي مجاملة في صوت لا يخلو من الغيظ المكتوم :

– بالعكس يا حبيبتي .. انه عليك يبدو اجمل ..

عجبا .!! ان البشر يستطيعون ان يرددوا كلمات جوفاء قد لا يحسون بمضمونها ولكنه النفاق الذي يسمونه في عرف هذا الزمان « مجاملة » ..

انتهى الحفل .. ولكل شيء كما قلت نهاية .. وانتهت معه حظوتي تدللي .
.. وبعكس ما استقبلتني سيدتي بحفاوة واحتفال ، فقد خلعتني عنها في عصبية والقت بي جانبا حيثما اتفق ..

* * *

بعد قليل كانت تخرج من الحمام بعد ان ازالت مساحيقها ، وما لحق بها في هذا الحفل من انفعالات ، وبدت في جمالها وهي تدخل الحجرة اكثر نقاء وصفاء .. كانت تبدو هي الجمال بعينه .. ولكن ما ان وقع نظرها علي حتى انقلب وجهها فاصبحت كوحش جريح .. تناولتني في غيظ وعلقتني في « شماعة » .. ووضعتني في اقصى مكان بخزانة ملابسها ، احسست انها قد حكمت علي بالنفي الى الابد في زاوية النسيان ، كأنها جريمتي انا ان يكون لي شقيق توأم .. وانها انانية البشر .

واغلقت باب خزانتها فاحسست بالبرودة تسري في هذا الظلام العميق ..

اصبحت ضحية جديدة وسط ضحايا كثيرين سبقوني الى هذا المكان ..

تذكرت شقيقي المسكين .. لقد فرحت عندما اجتمعنا في الحفل بعكس صاحبتينا اللتين بدتا كعدوتين تخفيان حقدهما وراء قناع زائف من اقنعة البشر الكثيرة .. وخفت عليه .. لا بد ان مصيره سيكون نفس مصيري .. ولكننا نحن الجماد نؤمن بالقضاء والقدر ، ونتساق في رضى لشيء اسمه « النصيب » ، بعكس الانسان الذي دائما .. لا يرضى بشيء ..

انتهيت من تأملاتي على حديث قصير بين سيدتي وزوجها الكهل ..

قال متوددا في صوت مجامل لا يخلو من خبث دفين :

– ... كان حفلا رائعا .. وكنت انت « البريمو » ... و ...

قالت في حزم وضيق :

– .. انا « تعبانة » .. تصبح على خير ..

ولفني الصمت والظلام ، وسمعت من بعيد صوتها يهمس :

« ايها الفستان .. يا عاشقا اجساد النساء .. كم من كنز تخبئه !!.. وكم من عيب تتستر عليه ..! »

« فستان »



شاطيء

أنا الشاطى .. لي منافع كثيرة .. فانا احدى رئات الانسان التي يتنفس من خلالها ويروح بها عن نفسه ، وانا خط الدفاع عن اليابسة من غوائل البحر وغضباته ، وانا مصدر الرزق الحلال لبني الانسان يأخذونه من اعماقي لحماً طرياً لذة للآكلين .. وانا قديم قديم .. قدم هذه الأرض .. ويقولون ان نبض الحياة فوق هذا الكوكب قد بدأ من احشائي حيث امتزجت رطوبة الماء بأديم الارض مكونين مادة الغرين التي فجر الله سبحانه منها الحياة ...

منذ ملايين السنين وانا اعيش في دعه وامان ، تعودت على تقلبات البحر يواجهني بأمواجه العاتية في اعاصير الشتاء ، فتتكسر على ضفافي واردها على اعقابها ، وكانت هذه العواصف لا تأخذ من اهتمامي الكثير ، فهي بالنسبة لي مجرد لعبة الشتاء الهو بها عوضاً عن هجر الأسماك لي واتجاهها نحو البحر في اعماقه الدافئة .. فان جاء الربيع والصيف عادت الي الاسماك هادئة لتهنأ بدفء الشمس ، لم يكن الانسان قد توحش مثل ما هو الآن فكانت الأسماك كبيرها

وصغيرها تأتي لقربي في مياهي الضحلة في قطعان ومجموعات لايمكنك ان تحصيها عدداً اذا وقفت فوقي ، ولكن ـ كما يقولون ـ فان دوام الحال من المحال ..

***

بدأت متاعبي منذ عهد قريب ، عندما تكاثر بنو البشر وزاد عددهم ، وانشأوا بجواري بيوتهم ومدنهم ، واقاموا مصانعهم وموانيهم ، فسمموا مياهي الصافية ، وقتلوا اسماكي ، وجعلوا يقذفونني بنفاياتهم وفضلاتهم غير عابئين بما يسببونه لي من دمار وتلوث ، ولم يفق الانسان من خطيئته الا بعد ان تنبه بعض العقلاء فجعلوا يصرخون محذرين من تلوث البيئة ، التي تسبب هلاك الانسان نفسه مع سائر المخلوقات ، .. حتى سنوات خلت كنت « مقلبا » للـ «زبالة » .. ومصباً لفضلات الانسان ، ومخزنا غير كريم لبقايا البناء او انقاض ما تهدم منها ، فتشوه وجهي وصرت مرتعا للحشرات والهوام بعد ان هجرني بنو البشر ...

***

قبل خمس سنوات ، بدأت فترة من حياتي اعتبرتها اسعد ايامي ، ففي ذات يوم فوجئت بعدد من بني الانسان يقفون فوقي ، وقد حملوا معهم معدات المسح والقياس ، كانوا جميعا يتسمون بسمات الجد والعزم ، كان منهم المهندس والعامل ، والمساح ، وكانوا جميعا من ذوي البشرة السمراء والسواعد المفتولة والتي تدل على انهم اتوا ليصلحوا ما افسده ابناء عمومتهم من قبل ..

ما هي الا ايام قليلة حتى اصبحت كخلية النحل التي تعج بالعمل في تنسيق يبعث على الاعجاب ، ملأت صفحتي معدات ضخمة ثقيلة من نوع التراكتورات والاوناش والبلدوزرات والشاحنات ، تمسح عن سطحي تلك الاقذار التي تراكمت مع الايام ، وتعالج وجهي مما فيه من تجاعيد فتتركه نظيفا منبسطاً ، وتسوي قاع مياهي وتنزع عنه الانقاض ... كانوا يريدونني عروساً جديدة يسمونها « بلاج » .. ما هي الا شهور قليلة من هذه العمليات والعلاجات حتى اصبحت بتكويني الجديد بهجة للناظرين ، وسعدت جدا بهذا التطور الحضاري الذي اصابني ، كنت كالعروس التي يصقلونها .. ويزينونها استعداداً ليوم الزفاف ، وزينوني بسوار طويل من الأسمنت المسلح يمنع عني غزو السيارات ، ووضعوا فوقي نقطة اسعاف ونقاطاً اخرى للانقاذ ، وزينوني بلافتات تغطيني تحمل عبارة توحي بالقدسية والاحترام .. « للعائلات فقط » ..

كان واضحا ان عريسي هو الانسان ، ذلك المخلوق المدلل الذي فضله الله

سبحانه وتعالى عن سائر المخلوقات ، وجعل كل ما على الارض له زينة واداة لاسعاده ، وكنت انا احدى هذه المخلوقات فهيأوني لأكون مرتعاً للهوه البرىء وحوضاً طبيعياً للاستحمام والاستجمام .

هذا الانسان الذي جعله الله خليفة في الارض ، هل يتصرف من هذا المنطلق الكريم ؟؟..

***

هلت بشائر الصيف ، واخذ الناس يتوافدون علي ، وكلما زادت حرارة الجو بمرور الايام .. زادت اعدادهم فوقي ، في البداية كنت سعيداً بهم .. برغم بعض المضايقات التي اقاسيها ، فبعضهم يرميني ببقايا الاطعمة التي يأتون بها ،

والكثير بعد ان يلعب ويسبح « ويتشمس » ويملأ بطنه .. لا يبالي ان يقذف وجهي بهذه الفضلات وقشور الفاكهة ، لا يكلفون انفسهم جمع النفايات في كيس مما حملوا فيه اكلهم ، انهم لا يحسون بقيمة النظافة ، ما ضرهم لو انهم يتركونني نظيفا ليجدوني في اليوم التالي كما تركوني ؟؟.

ولكنني كنت اتجاوز آلامي التي يسببونها بهذه التصرفات عندما اتذكر ما كان يملؤني من الانقاض والأوساخ قبل سنوات ، كذلك فان سعادتي بسعادة الاطفال واهليهم كانت تطغى على شعوري بالألم ..

ولكن يبدو ان السعادة شي عزيز المنال ، او فلنقل انها شي مستحيل الدوام ، ذلك انني لاحظت بعد مضي اسابيع من افتتاحي ، ان بني الانسان هؤلاء لا يحفظون عهداً ، ولا يحافظون على كلمة هم اطلقوها ، ولا على نظام هم وضعوه ..

فقد لاحظت افواجاً من الشبان يغيرون علي غير عابئين بتلك اللافتات التي زرعتها البلدية فوقي « للعائلات فقط » .. فأنت تراهم يروحون ويجيئون فوقي وهم يتطاولون بنظراتهم الجائعة على النساء ، وشيئا فشيئا .. ومع غياب الرقابة او قصورها في احسن الاحوال ، فقد تجاوزوا بتطاولهم النظرات الى السيء من الكلمات ، والمعيب من التصرفات ، وارباب الاسر والعائلات وقعوا في حيرة لا يدري احدهم كيف يتصرف فهو لا يريد لنفسه المهانة والاحراج مع هؤلاء الذين تخلوا عن ابسط قواعد الذوق والادب ، وكإن الواحد منهم قد خلق في هذه الدنيا لا

ام له ولا اخت يتخيلهن في بنات الناس ..

وان نسيت فلن انسى ذلك المنظر الذي تكرر فوقي اياما وايام ، حتى ضج منه الجميع بالشكوى ، حتى كتب عنه الكتاب في الجرائد والمجلات ، فقد بلغ الاستهتار ببعض الشباب حداً جعلهم يأتون بدراجاتهم النارية ويذرعونني ذهابا وجيئة في سرعة ، متخللين الآمنين من طلاب الهدوء والاستجمام ، ناشرين الفزع بينهم ، ناثرين الرمال فوقهم وفوق اكلهم وشرابهم ، حتى قيض الله المسئولين لهذه الفئة الضالة فمنعوهم ـ في رفق وحنان ـ من مضايقة اخوانهم من بني الانسان ، وكان الأجدر ان يلقوا بهم في « الحجز » بين براثن « السجان » ..!!

***

وحواء ما ادراك ما حواء ، منهن ناقصات عقل ودين ، ومنهن اقرب بني الانسان الى محالفة الشيطان ، تدس الواحدة منهن جسدها في « مايوه » يضيق بمفاتنها ، فلا تكاد تدري اقماشه فوق الجلد ام تحته مما يعانيه من ضيق الانفاس ، وهن يمشين في ارتال بأثارة ودلال ـ بعضهن تمشي على حافة المياه ـ وبعضهن فوق الرمال ، وهن يدرين ان العيون من حولهن تنهش لحومهن ، وهن سعيدات بذاك اشد السعادة ، وبعد ذلك يشكين جوع نظرات الشباب ،

ويستنكرن الجارح من التعليقات ، ولكنهن في قرارة النفس يعلمن انهن المائلات المميلات ، ويتجاهلن انهن بعد دهر قصر او طال .. .. سيكن حطباً لنار لن تهدأ او تخور ..

اما مياهي فكم حدثتني عن المآسي التي تعانيها كل يوم .. فكم من « المداعبات » غير البريئة تتخذ منها ستاراً ، وكم من ضحية راحت نتيجة التظاهر بالبطولة والاقدام ترى الشباب بالكاد يستطيع الاحتفاظ بجسمه لحظات فوق سطح مياهي ، ولكنه في سبيل اعجاب يتمناه .. من صاحبة الحسن والدلال ..

يقذف بنفسه بين لجج الماء ، ضاربا بذراعيه لأمتار قليلة في العمق من المياه ، وحين يريد العودة تكون قد انقطعت به الأسباب ، وتقطعت منه الانفاس ، فيبدأ بـ « التطبيش » والاستغاثة اليائسة ، يغمره الماء فيبتلع منه الملح مرارة الخيبة ، ولقد يتوب الى الله لحظتها ، وقد يتيسر له بعض « الجيران » من « شطار » السباحة فينقذونه .. ويجرونه جراً الى احضان رمالي وهو ذاهل « متدهول » لا

يكاد يعي من امره شيئا ، وقد نسي كل شي عن « جولييته » ورسمها ، واصبح كل همه التقاط الأنفاس ، والفوز من الغنيمة بالاياب ..

***

في هدوء الليل .. وبعد ان انصرف روادي بحلوهم ومرهم .. اخذت افكر .. فالجماد ايضا يفكر ، ولكننا معشر الجماد نفكر لانفسنا ولكن ليس من حقنا .. ولا نستطيع .. المجاهرة بتفكيرنا .. نعم اخذت افكر بما صار اليه حالي .. كنت اظن انني سأكون وسيلة لاسعاد البشر ، فاذا بي بقدر ما اقدم من سعادة اعطي ايضا الهموم والاحزان ، فكم من اسرة جاءت ثم تركتني وقد نقص عددها ، وكم من فتاة مال بها الهوى فوق صدري فمالت بها الدنيا ، وكم من اسرة تهدمت وكنت انا طرفاً من اطراف تحطيمها ..!!

***

اخذت انظر خلفي لملايين السنين التي سلختها من عمري ، فأيقنت ان الماضي بكل وحدته ووحشته افضل من الحاضر بضجيجه وعمرانه ، وتذكرت الماضي القريب ، يوم كان الانسان يقذف فوقي بوساخاته ، وانقاضه و فضلاته ... فوجدت ان هذا الماضي الذي طالما شكوت منه ، هو انظف الف مرة مما اعانيه الآن من وساخات لا تنظفها مياه المحيط بملايين الامواج .

(شاطئ)





لا اصدق ان من بين الجماد من يتعرض للكراهية والاضطهاد من بني الانسان مثلي .. ان دوري في الحياة هو اظهار الحقيقــة .. والنــاس عادة يكرهــون الحقيقة .. لا اعرف ماذا افعل ؟ هل اخفي الحقيقة ؟.. هل اخــدع ؟ هل ازيف ..؟.

ان الخداع والتزييف شيء مرير .. ثم ان ذلك يختلف عن طبيعة دوري في الحياة لأني باختصـار اداة لاظهار الحقيقــة وهذه هي مشكلتي مع الانسان .

***

تعالوا معاً نعيش يوما من الحياة التي اعيشها في صراعي مع الانسان لتدركوا جزءا من الخطوب التي اتعرض لها .. بالأمس استعدت سيدة المنزل للذهاب

لاحدى الحفلات .. سيدتي .. مولعة بوضع كميات كبيرة من المساحيق على وجهها وهي تقضي ساعات طويلة واقفة امامي وغالبا ما تكون متوترة الاعصاب فهي مصابة بداء « التردد » ، وكثيرا ما تغير كريم الاساس والبودرة والمسكرة وظل العين والروج لانها تشك بان الوانها لا تناسبها ، وكثيرا ما تبدل تسريحة شعرها واحيانا تغير فستانها عدة مرات .. ذلك قد يبدو مألوفا في عالم المرأة .. القصة التي سأقصها عليكم مريرة حقا .. قد لا تصدقون انها حدثت من ارقى مخلوقات الله على الارض وهو ذلك « الانسان » المدلل وأتساءل بمرارة .. لماذا فضل الله سبحانه الانسان علينا نحن الجماد ..؟؟

هل لانه يملك عقلا لا نملكه ؟ ولكن .. هل يستفيد ذلك الانسان بهذه الميزة ؟ انا اراه احيانا بلا عقل على الاطلاق بل اراه متمرداً على هذه النعمة الكبرى التي لو وهبت لنا نحن الجماد لفعلنا المعجزات .

دعونا من هذا التأمل ولنعد الى قصتنا بل الى مأساتنا .. ظلت سيدتي تطالعني وتغير وتبدل في المكياج وتسريحة شعرها وفستانها واكسسواراتها حتى قلق زوجها ودخل الغرفة وقال بغضب « لقد تأخرنا عن موعدنا » ثم نظر الى وجه زوجته فازداد غضباً حينما لمح كمية المكياج وصاح .. – « ما هذا الذي تضعينه على وجهك ؟ .. انك تشبهين البلياتشو الذي يضع على وجهه مثل هذه المساحيق لينتزع الضحكات من الناس » .. قال زوجها هذه الكلمات وخرج مسرعاً ولا اعرف هل خرج لانه حانق على زوجته او لانه خشي رد الفعل !!.. اخذت زوجته تكلم نفسها وتقول انه رجل لا يفهم في الجمال ولعنت حظها العاثر الذي اوقعها في زوج لا يفهم ولا يقدر هذه الأمور .

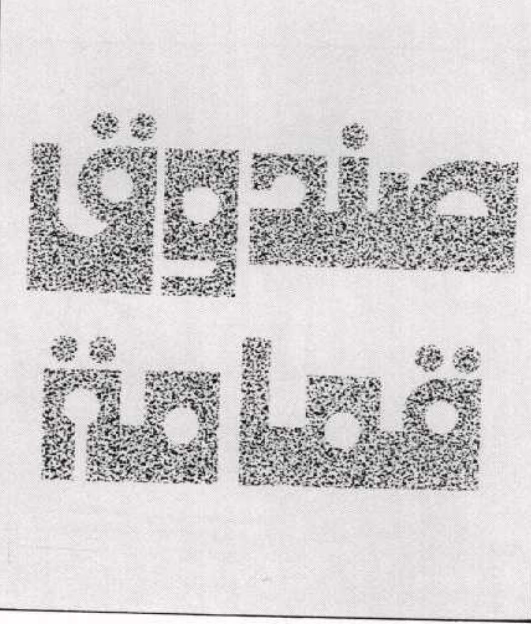
نظرت الي وكأنها تستغيث بي لكنني – كما قلت لكم لا انقل سوى الحقيقة ، لقد رأت من خلالي ان المكياج الذي وضعته بلا تعقل قد بدل لون وجهها الخمري الجميل ليصبح لونه غير معروف .. لقد ادركت ان الرموش الصناعية التي وضعتها فوق عينيها تحمل كل معاني التزييف .. ادركت ان الحواجب التي صنعتها بيديها بعد ان ازالت الحواجب التي صنعتها يد الله تبارك وتعالى بمقاييس .. انه عبث الانسان في صنع الرحمن .. ادركت كل هذا ولم تعترف به وتحاول اصلاحه لكنها فعلت شيئا اخجل ان اقوله او اذكره اني خجلة .. الجماد يخجل من ذكر بعض سلوك الانسان .. لقد بصقت في وجهي .. اقسم لكم ان ذلك حدث .. بصقت في وجهي لاني اظهرت الحقيقة .. حقيقة شكل وجهها بعد ان لطخته بمساحيق واصباغ .. بصقت في وجهي لانها غضبت من ثورة زوجها .. بصقت في وجهي .. انها حماقة الانسان وصلفه .. انها قسوته وغروره .. انها كراهيته الدائمة للحقيقة .. على الفور فكرت ان ابعث ببرقية لرابطة المرايا العالمية في بلجيكا وادعوها لاجتماع عاجل لمناقشة هذا الاعتداء على كرامتي وكرامة ابناء جنسي جميعا بعد ان زاد غرور الانسان وصلفه وطغيانه .. بينما انا ارتب كلمات البرقية خطر لي خاطر

وقلت لنفسي .. ماذا لو لم يلهم الله عقل الانسان ان يخترعنا او ان يقع زلزال كبير يهشم خلاله كل ابناء جنسنا .. ماذا لو انتهى دورنا في الحياة ؟.. كيف سيحلق الرجل شعر رأسه ولحيته مثلاً ؟ كيف سيرتدي ملابسه ؟ كيف ستضع المرأة هذه المساحيق على وجهها وتهتم بسائر امور جمالها ؟ بل كيف ستعرف انها جميلة اساسا لو لم نقم بأداء دورنا ؟ ربما اختفى غرورها وتشدقها بجمالها وبذلك تختفي اهم اسلحتها التي تسلطها على رقاب الرجال .. فكرت في أن اطالب المؤتمر بأن نحدث تغييراً ايديولوجيا ونعكسه على سلوكنا اليومي فنصبح اداة للنفاق ووسيلة للتزييف والخداع .. نعم لا بد ان نصبح مخلوقات عصرية على طريقة البشر .. النفاق .. الخداع .. التزييف ، انماط سلوكية يتبعها الناس في حياتهم اليومية .. لا بد ان يجاري الجماد الانسان في عصريته حتى لا يصطدم به ..

بينما انا افكر في كل ذلك اقبلت سيدتي وهي تمسك بمنشفة وتمسح عن وجهها الماء بعد ان ازالت المساحيق الكثيرة .. خشيت ان تحطمني هذه المرة لكنها نظرت الى ملامح وجهها في بساطته وبدت ملامحها متناسقة وجميلة ، وابتسمت بعد ان لمحت قطرات ثغرها الجميل قد تناثرت فوق وجهي فاحضرت قطعة مبللة بالماء ومسحت عن وجهي احمق خطاياها .. نظرت الي مرة أخرى وقد لمعت عيناها بشراً وحبوراً وقبلتني ..

نعم قبلتني .. لأول مرة احس بحنان المرأة ورقتها .. قبلتني وتخالطت انفاسها الدافئة بوجهي فمسحت عنه الشعور بالامتهان .. قبلتني فنسيت ما حدث منها .. سامحتها حينما قبلتني لاني ادركت انها قبلت الحقيقة من خلالي .. عجيب حقا هذا الانسان انه يصافح الحقيقة ويقبلها حينما تنقل اليه شيئا في صالحه ، ويثور عليها ويبصق في وجهها حينما تنقل اليه واقعا لا يحبه .. سامحتها لاننا نحن معشر الجماد اقل حماقة من الانسان واكثر تسامحا منه .. فالحياة لا تحتمل العداوة .. مزقت اوراق البرقية التي كنت اريد ان ابعثها لرابطة المرايا العالمية لاني اعلم ان رابطتنا ايجابية في قراراتها وحازمة في تنفيذ توصيات مؤتمراتها ، وانها تطبق بحزم ما ترفعه من شعارات .. اننا نختلف عن الانسان في هذه الناحية فنحن اهل الجماد نحترم التزام الجماد بوحدة المصير .. مزقت اوراق البرقية لاشفاقي على الانسان صانع الحضارات من غضبة جنس الجماد لانه احد اعمدة الحضارة ذاتها .. تخليت عن رغبتي في رد اعتباري حينما عاملني الانسان مرة واحدة برفق واعترف بحماقته وحاول اصلاحها .. آه لو تخلى الانسان عن بعض حماقاته لصار حقا اعظم المخلوقات ؟

« مرآه »





لا تسخروا مني لكوني « صندوق قمامه » بعض الأشياء دورها في الحياة بسيط لكنه هام وخطير .. نحن الجماد لا نهتم بالمراكز الاجتماعية .. نهتم فقط بأن يكون لنا دور في الحياة .. بالأمس حدث شيء عجيب حقا .. فقد ألقيت بأحشائي كمية كبيرة من نفايا المأكولات ، وفوارغ المعلبات ، ومحتوى سلال المهملات ، ولما كانت هذه الأشياء أكبر من حجمي ، فلقد تناثرت حولي نفايا كثيرة بشكل همجي للغاية ..

أرخى الليل ستائره وحل الظلام ، وشعرت بمخلوق يقترب مني ، ظننته أول الأمر قطه .. لكنه حينما اقترب مني وجدته فأرا وتعجبت هل هناك فأر بهذا الحجم ؟ .. انه كبير جدا وتبدو عليه كل علامات الصحة والسعادة ... نظر الفأر للنفايا المتناثرة ثم قفز فوق ظهري ، وتفقد محتوياتي ولم يأكل منها شيئا وتعجبت لغرور هذا الفأر وطمعه فمحتوياتي بها خيرات كثيرة تكفي لغذاء أسرة كبيرة من البشر ..

لكنه انصرف مسرعا ، وتصورته اما أنه مصاب بتخمة من جراء وليمة أكلها من قبل ، واما أن محتوياتي لم تعجبه ، ولكن ما حدث بعد دقائق كان شيئا عجيبا لقد جاء هذا الفأر بمجموعة كبيرة من زملائه وعشيرته ، وأخذوا ينهشون في محتوياتي ويحولون المكان الى فوضى كاملة .. وهنا ألحت على مجموعة أسئلة .. ان هذا المجتمع الفئراني عجيب حقا .. لماذا لم يستأثر الفأر الأول بهذه الوليمة وحده ؟ ولماذا دعا اليها كل هذا العدد ليشاركوه طعاما رزقه الله به ؟ هل الفئران تؤمن بوحدة المصير ؟ هل شاهدوا مسرحية توفيق الحكيم « طعام لكل فم » .. انه

صندوق قمامة



التضامن الفئراني العظيم .

* * *

كثير من الأسئلة والتأملات دارت بفكري أثناء التهام الفئران لمحتوياتي ، أفقت منها على صوت كبير الفئران وهو يدعو لعقد مؤتمر فئراني لبحث المشكلات التي تعترض المسيرة الفئرانية ، وتلا جدول أعمال المؤتمر ثم بدأت المناقشات .. قال أحدهم : علمنا أن أحد الخبثاء من البشر اخترع عدة طرق للقضاء علينا أولها : التجويع ، وهو أن توضع هذه الخيرات أقصد « الفضلات » في أكياس نايلون ، وتغلق باحكام ويتم تجميعها وحرقها في أماكن أعدت خصيصا لذلك حتى يحرم منها أبناء جنسنا ... حدث همس أعقبه ضجيج فحسم كبيرهم الأمر وقال لا تنزعجوا فان هذا الاختراع لن يعمم ثم لا تنسوا اننا نتغذى ونعيش على الغباء الانساني وهو عظيم .. وقال ثان لا بد من امداد أصدقائنا المنكوبين بكارثة الأكياس النايلون بالمعونة ، وقال ثالث : علمنا أنهم يضعون لنا السموم في هذه الفضلات وأمام جحورنا ، وعلينا أن نستعمل حاسة الشم لدينا لننجوا من هذا الخطر ونقوي أسلحة المناعة ضد كل نوع يستخدمونه معنا وقد سمعنا أن زملاء لنا قد نجحوا في بلدان عدة وعلينا الاستفادة من تجارب الآخرين .

قال كبيرهم في حسم : سوف نخصص لجنة لبحث هذا الموضوع .. ثم قرأ البند التالي في جدول الأعمال .. ثم قال فأر يبدو عليه علامات الثقافة : جاء في تقرير

من مراسلنا في لندن ان عدد أبناء جنسنا في مقاطعة ليتز وحدها قد بلغ ١٤ ألف فأر بزيادة قدرها ٧٠٪ .. أشرق وجه الفأر الكبير وقال أرجوكم ، لا تفشوا هذه الحقيقة حتى لا نصاب بالحسد ، وربما وصلت هذه الأرقام لأحد البشر فيحقد علينا ، وأنا أؤمن بالحسد .. انتهى المؤتمر وأعلنت التوصيات وكانت عبارة عن ثلاث توصيات وهي :

أولا : العمل على محاربة فكرة الأكياس النايلون وأن نستخدم في ذلك طبيعتنا باعتبارنا أذكى الحيوانات القارضة ، وكذلك الانتفاع من حاسة الشم التي نتمتع بها وذلك لاكتشاف السموم التي توضع أمام جحورنا ويدسها البشر في الفضلات التي نعتمد عليها في غذائنا .

ثانياً : تعميق فكرة وحدة المصير بين أبناء جنسنا وذلك عن طريق الاعلام الواعي والمخلص خاصة بعد أن كشفت الدراسات الأخيرة أهمية الاعلام ودوره الفعال في التوعية .

ثالثا : نشر فكرة زيادة النسل بين أبناء جنسنا ما دامت هناك خيرات وهبها الله لنا بهذا الكم الكبير .

انصرفت الفئران مع ظهور خيوط الضوء الأبيض وقبل أن تسطع شمس ما بعد الفجر بسحرها .. فالفئران لا تعمل الا في الظلام وضوء النهار يصيبها بالضجر .. في الصباح حضرت سيارة البلدية الكبيرة ونزل منها عمال وأخذوا بمحتوياتي داخل « التريلا » لكنهم تركوا بعض النفايا متناثرة حولي ليأتي مخلوق جديد أظنه يساهم هو الآخر في انتشار العدوى بين الناس وهذا المخلوق هو « الذباب » أخذ يقوم بغارات متتالية طوال الوقت ويلقي حمولته من النفايا القذرة ويقذفها على عين الانسان وغذائه وهكذا .. فان الغباء الانساني يهب كل مقومات الحياة لأكثر المخلوقات اضرارا به ، ويحجب عن أبناء جنسه في قسوة مصادر العيش الشريف ...

.. ما ضرهم لو صنعوا من الأكل على قدر ما يأكلون ، وما ضرهم اذا كان أكلهم كثيرا أن يحفظوا ما يطبخون وحبذا أن العصر حافل بأنواع كثيرة لحفظ الطعام كالثلاجات وغيرها . واذا كان البشر هنا يقلدون الغرب في كثير من شؤونهم وطباعهم .. لماذا لا يقلدونهم في طريقة طعامهم ؟ حيث يغرفون في أطباقهم بقدر ما يأكلون فلا يفيض شيء يلقى في و ...

حزنت من أجل الانسان فهو الذي صنع الجماد لكنه مع الأسف لا يفهم لغته ولو فهمها لأدرك اشفاقنا على غبائه الانساني العظيم .

« صندوق قمامه »



شقة خالية

بالرغم من أن يد الانسان هي التي تصنعنا نحن الجماد ، الا أنه يشقى في سبيل الحصول علينا ، ويلهث اعياء وراء مالكينا أو من يمثلهم ـ من وكيل أو حارس لتلين قلوبهم التي غالبا ما تكون قد تحجرت بفعل الجشع الذي عشش فيها ، وقد يبذل من الضراعة والاستعطاف في سبيلي ما قد يصل الى اراقة ماء الوجه .. وللانسان العذر في هذا السلوك ، فأنا أمثل له ضرورة الايواء فكيف يعيش الانسان دون سقف يظله ؟ .. وكيف يبني أسرة دون الالتجاء لمثلي ؟ ..

* * *

أنا شقة في بناية ضمن أربع بنايات تضم



كل واحدة منها عشرين شقة مثلي احتفل مالكها منذ خمسة شهور بالانتهاء من بنائها ، ويقال أنه ذبح الذبائح تيمنا بهذا الانجاز العظيم .. الذي سيسهم في انفراج أزمة الاسكان .

أنا لست مفتونة بجمالي ، وحسن بنائي ، وروعة تشطيبي ، فأنا لم أصب بنرجسة البشر ، ومع ذلك فأنا ورفيقاتي ما زلنا حتى اليوم نعاني من الخواء وأخشى أن تمر الأيام فنصبح كالعوانس اللواتي فاتهن القطار .. » .. ذلك أن صاحبنا قد وضع للراغبين في التقدم لنا من السكان شروطا قاسية .. أولها مغالاته في مهورنا .. فقد اشترط لكل واحدة مهرا يتجدد شهريا قدره ٢٥٠ دينارا لا تنقص فلسا واحدا وثانيها ألا يشغلنا سوى أسرة واحدة من زوج وزوجة وطفلين فقط ـ وثالثهما ألا يسكننا صنف من البشر يطلق عليهم « العزاب » ، وهم ليسو طائفة ملحدة .. أو هم من عبدة النار ، وهم ليسو زنوجا عاشوا في الجنوب الأمريكي قبل مائتي عام .. ولكنهم أولئك الذين لم يتزوجوا أو هم متزوجون ولكن زوجاتهم لسن معهم لسبب أو لآخر .. وكأنما هؤلاء هم الشياطين المنبوذين ذوي العيون الفارغة والأدب الغائب ، وكأنما كل متزوج هو الملاك الطاهر الذي لا يعرف اليه الشيطان سبيلا .

.. وهكذا كان .. في كل يوم يدخلني العديد من الزبائن .. ثم لا يعود واحد منهم ليسكنني ويؤنس وحشتي التي

طالت .. خمس شهور .

* * *

قبل يومين .. حضر الحارس ومعه فتى وفتاة ، كانا يمشيان خلفه في أدب واحترام يصل الى درجة الخشوع ، وكان الفتى يحرص في حركته أن يحفظ المسافة بينه وبين هذا الأمبراطور السادي فلا يقترب منه بأكثر من خطوتين ، ويرد على حديثه بكل الاحترام والتبجيل معززا ذلك بهزات الموافقة من رأسه مع انحناء قليل الى الأمام يعكس حالة الخضوع والمهانة مع محاولة التشبث ببقية من كبرياء ، فبدا وهو يلاحق الحارس الجليل من الصالة الى الغرفة ومن المطبخ الى الحمام ، بدا وكأنه تلميذ مهذب يتابع بكامل الاحترام شرح أستاذه في جو من جلال العلم وقدسية المعرفة ... ، وكان واضحا أن « البيك » الحارس يعرف جيدا هذه « الحركات » ولا يأكل منها وأن شعرة فيه لن تهتز لقاء هذه الحركات .. فهو مفوض من « الباشا » الوكيل بأوامر محددة وواضحة ولن يحيد عنها قيد أنملة ..

سأل الطالب عما هو مطلوب منه .. أجاب الحارس بصوت لزج :

ـ الايجار ٢٥٠ ـ شهرين مقدم ـ وشهرين تأمين ـ عقد الزواج ـ الأولاد ما يزيدو عن اثنين ..و ..

كأن يدا غير منظورة قد هوت بمطرقة ثقيلة على أم رأس المسكين .. ، في لحظة انزاح عن وجهه قناع الثبات والجدية الزائف ، وبدا وكأنه أحس بنفسه عريانا لا يستره شيء ، ومن زاوية عينه لمح خطيبته « آمال » تنظر اليه في هلع واشفاق ..

في لمحة دار في داخله مونولوج حزين .. (هو الجامعي يعمل ملاحظ أنفار بشركة المقاولات الوطنية براتب ٢٠٠ دينار ـ وآمال ستلتحق بالتدريس بالتربية بعد ثلاثة شهور براتب ١٤٠ دينار . أي أنها لن تقبض الا بعد أربعة شهور على الأقل .. أربعة شهور ؟؟ .. نعم أربعة شهور .. والمالك أيضا يريد أربعة شهور مقدم وتأمين يعني ١٠٠٠ دينار .. من أين له بالألف دينار الآن ؟ ثم .. حتى بعد أن تقبض « آمال » راتبها فسوف يبقى لهما ٩٠ دينار فقط .. هل تكفيهما التسعون دينارا ؟؟) .. وأحس برأسه يكاد ينفجر ..

كان البيك الحارس ينظر اليه بشيء من الشماتة الممزوجة بظل باهت من شفقة لم ينجح بعد في التخلص منها .. كان ينتظر رد « البيك » العريس .. الذي بدا الآن زائغ العينين وكأنه شيخ في السبعين .. وأفاق على صوت آمال يقول :

ـ يا للا بينا يا وائل ...

في سرعة تمالك وائل نفسه واستعاد قناع الجدية ، ونظر الى الحارس بابتسامة متعالية :

ـ .. طيب يا حاج .. سنمر عليك قريبا ان شاء الله .. سلام عليكم وأخذ بيد

« آماله » خارج بابي .. وسمعته يرتجل يائسا :

أمـــالي آمال ومـــالي مال
وصعـــب المنال فقـــير اليدين
* * *

بعد قليل جاءني الحارس مصطحبا شابين يبدو عليهما الاجهاد والحزن ، وبعد أن تلا عليهما الموشح المعهود ، قال أكبرهما وهو يشعل له سيجارة قدمها اليه :
ــ بصراحة نحن خمسة .. منا المهندس ومنا المحاسب ومنا الموظف .. وفينا الأعزب وفينا صاحب العيال الذي ترك أسرته ببلده سعيا وراء الرزق الحلال .. فما رأيك لو كتب العقد باسم المتزوج ؟ .. وطبعا .. سوف نراك (قالها بابتسامة ذات مغزى) وأنت تعلم أنه يكفي لكل واحد ٥٠ دينار لنسكن كآدميين ...
قال الحارس :
ــ يا أستاذ .. مفيش فايدة .. المالك يشترط اقامة الزوجة بجواز سفرها ..
ــ ــ يا معـ ..
ــ يا أستاذ لا تحاول .. هذه شروط المالك وهو حر ..
ــ قل للمالك ان الأعزب لم يكفر .. وان من المتزوجين من هم أخبث من الذئاب وأن هذا التعنت ظلم جائر .
* * *

في عصر نفس اليوم جاء الحارس ومعه رجل في الخمسين وان كان يبدو أكبر من ذلك بكثير .. مقوس الظهر غائر العينين ، وقد برزت عظام وجهه وسقط معظم شعره ، ورسم مشوار كفاحه مع الحياة خطوطا عميقة على الجبهة وفوق الخدين ، ...
.. قال بصوت خفيض :
ــ أنا أعمل طباعا بالوزارة في الصباح ، وأمارس عملي في مكتب تجاري فترة المساء لأجابة مطالب الزوجة والخمسة أبناء وأجابه الغلاء ، وزوجتي لا تعمل ، أليس عندكم ملحق أو شقة أقل ايجارا من هذه ؟
ــ يا أستاذ كل الشقق نظام واحد ..
ــ اجعلني أقابل المالك لأقنعه بالتخفيض . لقد أنذرت باخلاء من سكني لصدور أمر بهدمه خلال شهر .
ــ يا أستاذ .. المالك لا يقابل أحدا .. ابحث عن ملحق في مكان آخر ..
* * *

أحسست بالحزن لهذا الذي سيصبح بلا مأوى خلال أيام .. ولا بد أن سكنه الأول كان قليل الايجار ..
وأحسست أيضا بالحزن والرثاء لنفسي .. عندما انتهت أعمال البناء والديكور لي قبل خمسة شهور وأصبحت جاهزة للسكن .. كنت أحلم بأنني سأعيش حياتي كمن سبقني من الشقق .. فأعيش حياتي بحلوها ومرها من خلال حياة السكان ماذا لو قد سكنني وائل وزوجته المستقبلة « آمال » .. أما كنت أعيش معهما حياة

الشباب ، وأشاهد بنفسي كفاحهما في تدبير أمرهما بباقي دخلهما « الـ ٩٠ دينار » أم أنه كان سيتركها في شهر عسلها « المزعوم » ليبحث عن عمل اضافي يعوض به بعض ما فقده من الايجار .

وماذا لو قد سكنني الطباع وزوجته والخمسة أولاد .. لا شك أن حياتي كانت ستكون حزينة وأنا أرى هذا المسكين لا يكاد يرى أولاده الا سويعات الليل يأتي منزله مرهقا مهدما ليتناول لقمة وينام استعدادا لدورة أيامه المستمرة ..

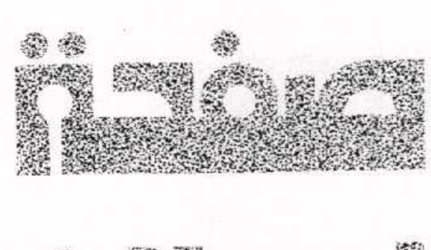
* * *

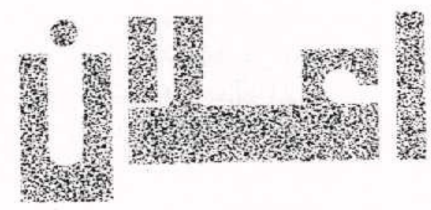
خلوت الليلة الى نفسي ، وأخذت أجتر خواطري القليلة عن خمسة شهور مضت ، وأحسست بقشعريرة تسري في جدراني .. فلا أنيس ولا جليس .. ولا أنفاس ولا حياة .. كل ذلك بسبب المادة .. مالكي يغالي في مهري ، والآخرون لا يقدمون المهر ... وتساءلت :

متى يأتي فارسي الذي يستطيع دفع الثمن .. ففي عصرنا هذا من يملك المال يستطيع الحصول على أي شيء .

« شقة خالية »



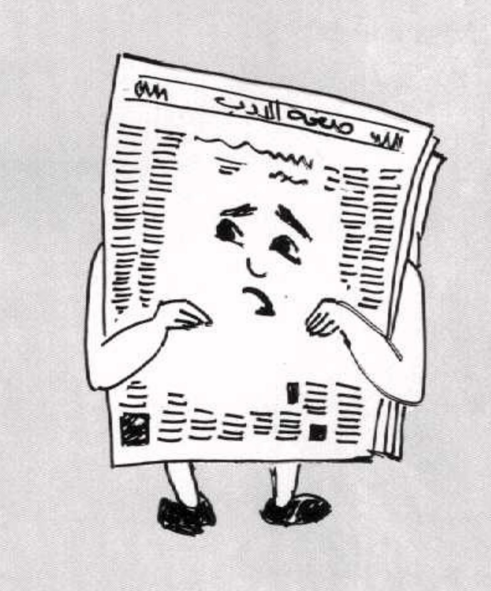




حتى الامس كنت صفحة بيضاء .. كنت مضرب الامثال عند الناس يقول الرجل لصاحبه عندما ينهيان ما شجَر بينهما من خلاف ... (لننسى ما فات ، ولنفتح صفحة بيضاء) كم كنت سعيدة بهذا التشبيه .. كم كنت سعيدة لاني عنوان للنظافة والتسامح والتجدد . واليوم بدأت مرحلة جديدة في رحلة حياتي .. وللجماد ايضا ـ كالانسان مراحل في حياته ..

تناولني مع العديد من زميلاتي كثير من الايدي وذهبوا بنا الى مكان يهدر بالصخب والضوضاء .. يسمى (المطبعة) .. واحسست انها المرحلة الاخيرة في حياتي القصيرة واوجست

صفحة اعلان



خيفة .. ترى ما هو مصيري ؟ .. واي مادة تلك التي سيزينوني بها ؟ .. أأحمل خلاصة فكر احد المفكرين ؟ ام هو نبأ اختراع جديد يطلعون به على الناس .

.. ام احمل سيرة عطره من سير الاولين تثير في الحاضرين همة ماتت او كادت ان تموت ..؟ ترى هل ساكون صفحة ضاحكة ام باكية ؟ ... جادة ام هازلة ؟ مفيدة ام سيجعلون مني سهما مسموما .. كالعديد من السهام التي يوجهونها الى القيم والمبادىء بدعوى التطور العصري المزعوم .. وهدم كل ما هو قيم وقديم .. انه سباق المادة الذي يصبغ العصر .. وفي سبيل هذا السباق ، فلا مانع من ابتزاز العواطف ، واستثارة الغرائز ما دام هذا سيزيد التوزيع ويدر (الربح) الوفير .. ولتذهب الاخلاق والقيم الى حيث القت .. وليغمضوا الاعين عما يحيطهم من مآسي ونكبات .

صحوت من افكاري على مناقشة حادة وصلت حد الصراخ ، ونظرت حولي فلم اجد واحدة من زميلاتي ، فقد كانت كل منهن قد استقر بها المقام في مجال تخصصها ، فهذه الصفحة للاقتصاد ، وتلك للاجتماعيات ، وثالثة للمحليات .. وصفحتان للرياضة ، وواحدة للفن .. الخ .. الخ .

... وبقيت وحدي مادة للنزاع بين هذين المتبارزين ، احدهما (مدير الاعلان) وكان الثاني هو (سكرتير التحرير) .. وبدا لي للوهلة ان مدير الاعلان هو الاقوى في هذا المكان ، بدا لي ذلك واضحا من نبرات صوته الواثقة ، وكان الثاني يحتد عليه احيانا ، ولكن بشيء من .. الحذر ولا اقول .. الخوف .. كان كل منهما يريدني لنفسه .. مدير الاعلان يريد ملئي باعلانات العملاء .. وسكرتير التحرير يرى ان مدير الاعلان هذا قد طغى وتجبر .. واستولى على ما يزيد من ربع مساحة الصفحات ، وان من حق القارىء ان يتلقى وجبته الدسمة من سائر المواد وابواب التحرير ، وان كثيرا من هذه المواد تؤجل بسبب كثرة الاعلانات ، مما يجعل من المواد غير ذات قيمة لو نشرت في اعداد قادمة ..

وكان صراخ الرجلين قد وصل الى الحد الذي اصبح الوصول فيه الى اتفاق امرا مستحيلا .. كان سكرتير التحرير يتمتم بكلمات غير واضحة عن .. حق



القارىء .. في وجود مواد تحريرية مفيدة وان الجريدة اصبحت محشوة بالاعلان .. الخ .

كان واضحا ان الرجل فقد اعصابه او كاد .. في الناحية الاخرى رأيت مدير الاعلان يبتسم في خبث وثبات .. وفي النهاية اقترح الاحتكام لدى مدير التحرير وهنا لم يجد سكرتير التحرير مفرا من قبول الاقتراح ..

عند مدير التحرير القى السكرتير بكل ما لديه من اسلحة في المعركة .. فهو يريد اعطاء القارىء خلاصة فكر المحللين العاملين في قضايا الساعة بالاضافة للمواد الاخرى ذات الاهمية الكبرى مثل الاقتصاد ، والرياضة والفنون .. الخ .. قاطعه مدير الاعلان في هدوء .. ولكن يا استاذ لا تنسى ان الاعلان هو الذي يعطي للجريدة دماء الحياة ومنه نقبض رواتبنا ..

* * *

كانت مباراة غير متكافئة .. انهاها الحكم .. اقصد مدير التحرير بانتصار مدير الاعلان ..

وخرج سكرتير التحرير وهو يتمتم مقهورا بـ .. امبراطورية الاعلان ... اين حقوق القراء اذن ؟ مشى مطأطىء الرأس يلعن حظه العاثر الذي ساقه الى هذه المهنة التي تمزق الدماء والاعصاب ، وتأتي بالشيخوخة في غير موعدها ..

بعد ان فاز بي طاغية الاعلان سلموني لعدد من الفنيين وعلى رأسهم من يسمى « بالمخرج » الذي اخذ يشق صدري بخطوط طولية ... وعريضة ... وملتوية ومستقيمة .. قسموني كالوطن العربي الى مساحات ومناطق .. وجعلوا في كل مساحة صورة جميلة .. وكلاما يقطر حلاوة .. او نفاقا .. او ..

هذا اعلان لمحلات يفيد بان الادارة ابتهاجا بفرحة الاعياد .. ومساهمة منها في البهجة .. وحبا منها في عيون المواطنين قررت عمل تنزيلات كبرى تصل الى ٧٠٪ وان كل مواطن يشتري بنصف راتبه بضائع له هدية قيمة .. هي زجاجة بارفام ماركة (هبلونج) العالمية .

وهذا اعلان ثاني عن (الدواء) العجيب .. الذي تدهن به الرأس الصلعاء مرة واحدة فينبت فيها الشعر غزيرا كثيفا كغابات « السافانا » خلال

صفحة اعلان

دقائق ، ومع الاعلان صورتان احداهما كالقمر الصناعي اللامع ، والاخرى لنفس الشخص .. وقد بدا خنفسا يغطي الشعر رأسه الميمون ، ويحجب ايضا جزءا من حاجبه الايسر في غرة او (قصة) يتوارى ازاءها وجه مارلون براندو خجلا .. وتحت الصورتين تعليقان .. (قبل العلاج) وبعد العلاج .

وهذا اعلان انتخابي .. تزينه صورة المرشح المحترم .. تطل عليك في لقطة باسمة .. (كاشحة) .. واعده متوعدة .. فهو ابن الدائرة .. خادم الصغير والكبير الذي سيصير عضوا عنكم – بكم ... ولكم .. والذي ان تشرفوه تجدوا ما يسركم ويملأ بطونكم ، ويعمر جيوبكم .. وان انتخبتموه فسوف يكون صوتكم هو العالي ، وضميركم هو الصاحي ، وهو الذي سوف يأتيكم بما لم يستطعه الاوائل .. ولن ينكر احدا منكم اذا نجح .. ولن يغلق بابه دونكم ان وضعتموه في المجلس ، ولن يسعى الى مصالحه الشخصية ابدا مطلقا .. وانما مصالحكم انتم هي التي ستكون شغله الشاغل ليله ونهاره .. وما بين ذلك ان امكن ..

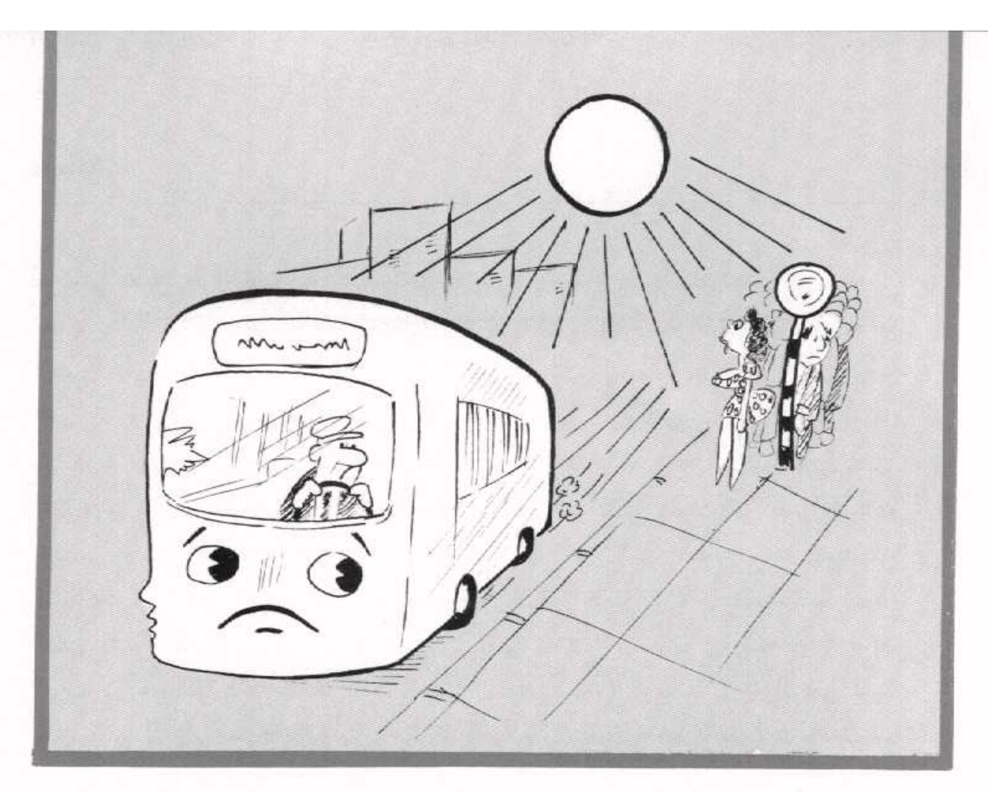
بقع من الكذب لوثت صدري حتى كدت اختنق .

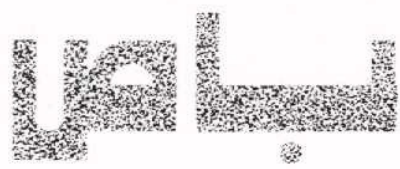
واخيرا .. وفي الساعات الاولى من الصباح .. صدرت الجريدة وجاء مكاني في مواجهة صفحة (المجتمع) مما زاد احساسي بالاختناق .. فقد لوثت هي الاخرى بمواد لا تخلو من الكذب والنفاق وتبادلت واياها نظرات الاسى والاشفاق ..

وقبل ان ابثها شكواي بادرتني شاكية في لوعة وقالت : ان ظهري يؤلمني واحس فيه بوخز الخناجر .. ففي الوقت الذي ترين فيه وجهي يفيض بأنباء المجتمع (المخملي) كما يسمونه فقد حملوا ظهري بأنباء الجنوب اللبناني ، وكلمات تذكرني بمهزلة (تل الزعتر) ، واخبار عن نضال الشرفاء من الجوعى والمقهورين .. وفوق وجهي الزائف نضال الحفلات والصفقات ، ونضال شراء السيارات الفارهة ، وهدايا الزوجات التي يقدمنها لازواجهن وهي عبارة عن ميلاد طفل جديد .. وكأن الزوج غير مشترك اصلا في صنع هذه الهدية .

كنت اهم بالرد على جارتي عندما وصل القارىء الى قلب الجريدة فباعد بيني وبين شقيقاتي .. ثم غشيتني سحابة سوداء ، وقبل ان امضي الى عالم النسيان تمنيت ان اعود الى عالم الامس .. حيث كنت صفحة بيضاء عنوانا للنظافة والتسامح والتجدد قبل ان تتناولني يد البشر وتشوه ساحتي بكل هذه الاكاذيب .

(صفحة اعلان)





...أنا كهل لم أكمل الثالثة من عمري ، لست أدري من أين أبدأ حكايتي ، عمري الافتراضي عشرون عاماً على أسوأ تقدير ، ولكنني تخلعت من المفاصل ، وأصبت بالرشح وال « تنفيس » من كل عضو من أعضائي .. قبل الأوان ، وهنت قوتي ، وقلت حيلتي ، وأصبحت مصاباً بالحمى الدائمة ، فحرارتي دائماً مرتفعة ، ونبضي دائماً متقطع ، وصوتي عال ومزعج باستمرار وكأنني أجأر بالشكوى ..من سوء الاستعمال ..

قبل حوالي الثلاثين شهراً نقلوني مع زملاء لي إلى الكويت فوق باخرة ضخمة ، كنا حديثي الولادة ..لم يمض على خروجنا من المصنع سوى أسابيع قليلة ، وحين قادونا من الميناء إلى جراج المواصلات لم تكن عداداتنا قد سجلت المائة كيلو متر الاولى من عمرنا .. كانت عيوننا تلمع ببريق الصحة والأمل .. الأمل في خدمتكم بني البشر ، فقد خلقنا الله بأيديكم لخدمتكم وتوفير الجهد عليكم وتقديم الراحة والرفاهية لكم لعلكم تشكرون .. ولعلكم ترحمون .. فهل شكرتم ..وهل رحمتم ؟!

هذه الليلة ..مثل ليالي أخرى كثيرة سابقة .. لم أذق طعماً للراحة أو النوم ، فقد تركوا

ماكينتي تعمل طوال الليل وأنا في مكان « راحتي » بالجراج .. تركوها تعمل بحجة شحن بطاريتي التي لم يمض على الحاقها بخدمتي أكثر من شهور قليلة ، والحقيقة المرة التي يعرفها الجميع ، أن العلة ليست في بطاريتي ولا في ماكينتي ، ولكن في سائقي « الرفيق » ذلك الرفيق العزيز .. رفيق الطريق .. الذي أتو به من بلاد تركب الافيال .. والذي استلمني ليكون معذبي — اقصد سائقي — في أول مشوار حياتي العملية لخدمة هذا البلد الامين .. المسكين .. انني أنظر ورائي لهذا اليوم السحيق قبل ثلاثة أعوام بالكثير من الألم والأسى ، ذلك انني بقدر ما كنت متفتحاً ومتشوقاً لبدء خدمتي في هذا البلد .. بقدر ما كانت صدمتي حين استلمني « المذكور » .. الذي لا يعرف عن اصول القيادة .. ولا أقول فنونها .. إلا مبادئها الاولية ، يعرف كيف يشغل موتوري مع شيء من الطويل — ليرهق ابلاتيني ويتسبب في حرقه ليبدل مرات ومرات لا أجرؤ على ذكر عددها ، وهو يعرف أن هناك جير أول وجير ثان وأحياناً جير ثالث ينسى كثيراً أن ينقل حركتي إليه تاركاً موتوري يجعر وينعر ويصم الآذان وكأنني شاحنة تصعد جبال لبنان بحملها الثقيل ، أو تراكتورا ثقيلًا يدفع أمامه جبلًا من الانقاض ، كانت معرفته بشوارع البلد لا تتعدى معرفته بمفردات لغتها ، وكثيراً ما ضل بي وبركابي الطريق فترتفع أصواتهم بالتنبيه والاحتجاج .. ولذكائه المفرط فلم تكن مثل هذه الاصوات تعيده عن خطئه إلا بعد أن يمضي بي بعيداً عن جادة الطريق ، فيصب عليه زبائني سيلًا من السباب المرير والتعليقات الساخرة التي لم يكن يعرف معناها آنذاك وان لم يقصر احساسه عن فهم مضمونها ، وكان وجهه الأسمر الكالح عندئذ يتلون بالشحوب والاصفرار جبناً وفزعاً مما وقع فيه من أخطاء .. وما قد يجره عليه تكرار الخطأ من عقاب أو « تفنيش » .. « التفنيش » .. هذه الكلمة بالنسبة له كانت تمثل كارثة أو غولًا يقضي عليه .. فحينما جاءوا به لهذا البلد كان يعرف مقدماً قيمة راتبه ، وجعل بعين خياله يحول الدنانير إلى عملة بلاده .. فوجد أنه سيحصل على ثروة كبيرة في كل شهر ، وعاهد نفسه على المحافظة على هذا المنبع للثروة .. صحيح أنه فوجىء بارتفاع الاسعار ووجد أن هذه « الثروة » يمكن أن تستنفذ بسهولة في بئر الطعام فقط ، ولكنه سريعاً ما تكيف مع « الوضع » وأخذ نفسه « الأمارة بالسوء » ..بالحزم فكان لا يأكل إلا ما يسد رمقه ويحفظ عليه حياته ليمكنه أن ينقذ الجزء الاكبر من ثروته تمويلها في سبيل تحقيق احلامه في « الاثراء » .. ولا شك أن كل هذه العوامل مجتمعة قد أثرت على اعصابه ، وأثرت على طريقته في معاملة زبائني ، وبمرور الايام أصبح يفهم شتائمهم وتعليقاتهم ، وتعلم كيف يرد الصاع صاعات كثيرة ، ونشأت بينه وبين الجمهور علاقة عداء غير مستتر ، فجعل يتخطى الركاب على الطريق الذين يشيرون له بالوقوف ويكاد يدهسهم في طريقه ، وجعل لا يستجيب للراكب الذي ينبهه للوقوف

متجاهلًا إياه أو مدعياً الصمم ليكلفه وقتاً وجهداً في العودة راجلًا الى حيث كان يريد النزول ، وكانت طريقته في قيادتي ترهقني كما ترهق أعصاب الركاب ، فهو حين يتحرك بي في البداية يفزعني في قفزة مفاجئة برفع قدمه المفاجىء عن دواسة الكلاتش مع « الدعس » الشديد على دواسة البنزين حتى لأكاد اختنق من كمية البنزين الواصلة لمعدتي — اقصد — لموتوري — ويستمر على ذلك وقتاً يطول أو يقصر حسب مزاجه أو سرحانه حتى ينقل حركتي الى الثاني .. وفي عملية النقل هذه يخض جسمي مع أجسام الركاب خضة شديدة ملقياً الرعب في نفوسهم ومسبباً خلخلة في مفاصلي ، فإذا أراد الوقوف قرب الاشارة — ولا أقول مقابلها .. ابداً — قبلها .. أو بعدها — فلا بد أن يكون هذا الوقوف مفاجئاً ، فان بينه وبين سلاسة الحركة ود مفقود — تماماً كما بينه وبين الركاب — ولا مانع ايضاً من ايذاء عجلاتي بسحقها في الرصيف امتاراً طويلة ، فلا هو يصعد بها فوق الرصيف ولا هو يرحمها بابعادها عنه المسافة المطلوبة لينكد على الناس عيشهم ويحطم اعصابهم ، أو عظامهم أحياناً وكم من راكب اصيب بالتسلخات في يديه وركبتيه نتيجة غفلته عن نوع مزاج « سائقي المحروس » ، الذي أصبح مدمناً على سماع ألحان اللعنات من الركاب ، فأصبح لا يستغني عن سماع وجبته اليومية من اللعنات يسعى لها بتحريك غضب الركاب .. وغضبي أنا أيضاً من هذا الجلاد الذي كان يوم عرفته « قطاً مغمضاً » أو في الحقيقة « حيةً ساكنةً » .. ما أن أحس بالدفء حتى انقلب الى وحش كاسر له مخالب وانياب ، يعاملني ويعامل الناس أسوأ معاملة ..

أذكر ذات يوم وكان طريقنا يمر أمام مدرسة ابتدائية ، وكان الشارع أمام المدرسة واسعاً يسمح بمرور الرائح والغادي بالرغم من السيارات التي وقفت على الجانبين لحمل فلذات الاكباد ، وكان وقت خروج الاطفال من مدرستهم ، أذكر يومها أن معذبي أوقفني وسط الطريق ونزل مني لينظر ويقيس مسافة الفراغ عن يميني ويساري وقد غاص الدم من محجه الكالح من الخوف والجزع فبدا أكثر كلوحا وهو ينظر في بلاده عن يميني تارة ثم عن يساري تارة أخرى ، وتنبه سائقو السيارات لهذا المزعج الدخيل على فن القيادة ، فجعلت أصوات أبواق السيارات ترتفع بالاحتجاج من خلفه ومن أمامه في الاتجاه المقابل ، كانت المسافة عن يميني لا تقل عن المترين ومثلها تقريباً عن يساري ، وصاحبنا ينظر في تبلد وكأن كارثة قد حلت بالكون من حوله .. وطال الموقف ، وكانت الشمس تلقي بحممها فوق الرؤوس ، وكانت الاعصاب مؤهلة للانفلات ، فجأة رأيت مواطناً شاباً ينزل من سيارته الخاصة التي كانت في مقدمة الطابور المقابل ، ثم يتجه نحوي دون تردد ودون الالتفات نحو صاحبنا الذكي ، ويحتل مقعد القيادة لينحرف بي الى اليمين في لطف ويأخذني للأمام بعيداً عن الزحام أو بعيداً عما تخيله صاحبنا عنق الزجاجة التي لا يمكن اجتيازها

ثم ينزل مني متجهاً الى سيارته وقد حل « المشكلة » في لحظة واحدة .. ورأيت صاحبي في المرآة يجري ورائي في هلع وذهول ، ولم يجد « المنقذ » ليحتج عليه فقد كان أخذ سيارته ومضى .. لم يجد أمامه سوى ضحكات الركاب وتعليقاتهم الشامتة في استقباله ..

من مثل هذه المواقف « المهينة » التي كانت تكشف جهل صاحبنا « وذكاءه » غير الطبعي الذي لازمه منذ نشأته الاولى وسط الذباب والامراض ، من كل ذلك تأصلت لدى صاحبنا عقدة يسميها تلامذة « سيجوند فرويد» عقدة الاضطهاد .. أو الاحساس بالاضطهاد .. وكما تعلمون .. ولأن لكل فرد رد فعل مضاد له في الاتجاه ومساو له في المقدار ، فقد كان التصرف الطبيعي لصاحبنا هذا المعقد المقهور هو أن يرمي بلواه وبلاويه على الناس .. ليس كل الناس .. ولكن من يستطع أن يتطاول عليه منهم ، ومن يكون أحب الى قلبه ونفسه أن يضايقه وينغص عليه عيشه أكثر ممن يحتكون به يومياً من ركابي ، فكان التنغيص عليهم هو المتنفس الوحيد لعقده السابقة واللاحقة ، وهو ما يسميه تلامذة « فرويد » بنظرية « الاسقاط » .. أي اسقاط احماله من الحقد والضيق من فوق رأسه وكتفيه على غيره من بني البشر ..

وهكذا كان .. كنت أرى زبائني وهم واقفون على الاشارات أو المحطات ، وهم يتصببون عرقاً ويزفرون ارهاقاً في شمس الصيف اللاهبة التي لا يجدون ما يحميهم منه سوى بعض أوراق الصحف ، واشعر بمدى الخيبة التي تصيبهم عندما ينفلت بي قائدي « رفيق الطريق » منطلقاً في طريقه لا يلوي على شيء ، مصعراً لهم خده في كبرياء وتشف مقيتين ، لاوياً عنقه الذي صار سميكاً الى اليسار .. امعاناً في تجاهلهم والتنكيل بمشاعرهم .. وعندها أكاد انشق من الغيظ ، ولو كان لجماد حرية التصرف لقذفته بمياه « رادياتيري » التي تغلي بسببه نتيجة نقصها وعدم كشفه عليها امعاناً منه في اهمالي وتدميري .
بالأمس .. عند الفجر .. سمعت حديثاً بين اثنين من القائمين على « خدمتنا » بالفندق .. « اقصد بالجراج » .. ويتحدثون عن السعي الى « سكربتنا » لاننا صرنا « كهنة » وكانت تبدو في حديثهم رنة من الاسف والالم اشعرتني وزميلي الرابض الى جانبي بالتعاطف معهم ودار بينهما الديالوج التالي :

— .. أليس حرام يا هشام أن يقرروا احالة هذه الباصات على التقاعد وهي لم تكمل بعد الثلاث سنوات . ؟ !

— .. وماذا تريدني أن افعل يا سعود .. الحقيقة أن حالة هذه الباصات توحي بأن عمرها تخطى



الثلاثين أو الاربعين .. يا رجل ألا ترى أننا نفعل المستحيل لاصلاحها بينما يهدم سائقوها كل ما نفعله ؟!

ــ .. والله يا هشام .. لو أن هذا النوع من الباصات في مكان اخر لامتد به العمر عشرات وعشرا من السنين !!

ــ .. (متهكماً) .. لعله جو هذا البلد هو الذي يقضي على صلاحيتها كما يقولون ...و ..

ــ .. أي جو يا هشام ؟ ! انت تعلم تماماً سبب هذا الخراب .. إنه سوء الاستعمال .. إنهم في سبيل توفير فليسات قليلة .. اتو بنوعية سيئة من السائقين ، عاملن هذه الجمادات المسكنية أسوأ معاملة .. وهذه هي النتيجة ، فقد قضوا على سنوات من عمر خدمة هذه الباصات القوية واحالتها الى زوايا النسيان .. احسست وزميلي بنوع من الراحة والعزاء ، فها نحن أخيراً نسمع كلمة حق تقال ، وتنصفنا وتنصف « جو هذا البلد » المفتري عليه من كل من يريد اسقاط عجزه على الآخرين وتعليق اخطائه فوق شماعة .. « جو هذا البلد » .. !

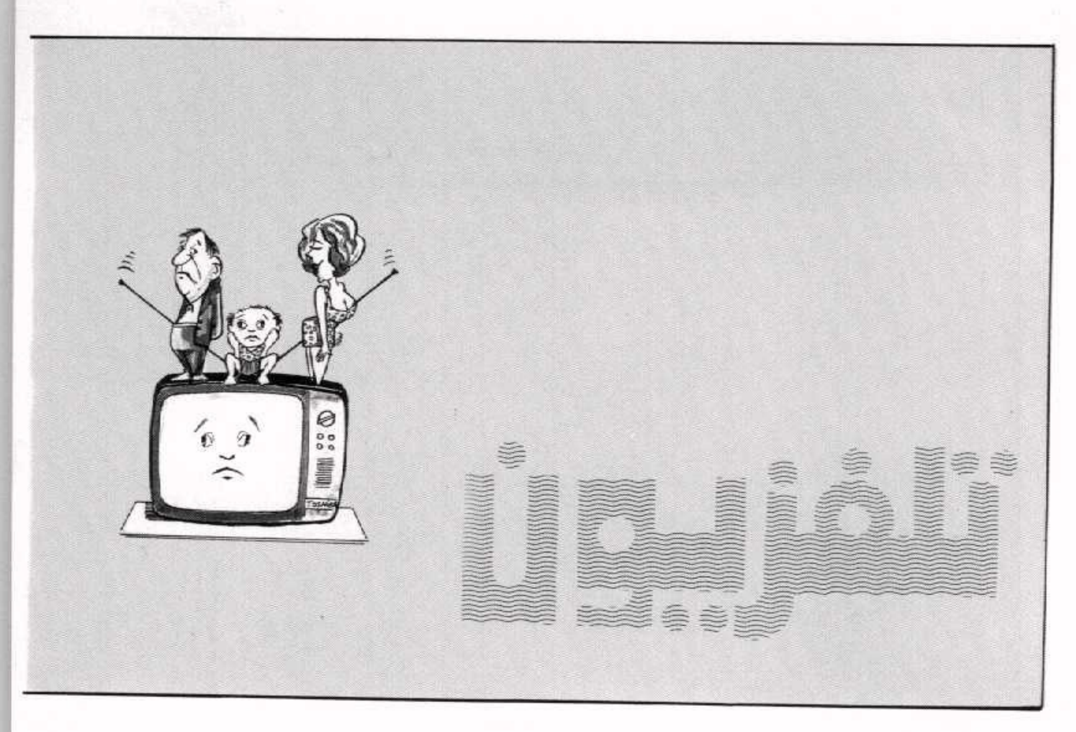
يبدو أن أيام عمري قد قاربت على الانتهاء ، فبعد هذا الحديث الذي دار بساعة واحدة ، جاء « جلادي » ولا أقول سائقي ، فأخذني خارج الجراج ليبدأ رحلته اليومية ، وكانت تصرفاته

معي تدل على عصبية شديدة فقد مشى بي مسافة طويلة (وقد علا صراخي) على الجير الاول ، ولم يستعمل ناقل الحركة خلال مشواره الى محطة التجمع الا قليلًا ، ولذلك فما أن وصل بي الى هناك حتى كان الجهد قد أخذ مني كل مأخذ ، كانت الحرارة قد وصلت الى منتهاها ، فقد قضى خلال مشواره على البقية الباقية من مياه التبريد عندي ، ولذلك حين وقف بي توقف قلبي عن النبض ، ولو كان المشوار أطول من ذلك لتوقف نبضي ايضاً قبل الوصول .. حاول ايقاظي دون جدوى .. حاول وحاول حتى نفدت الكهرباء من بطاريتي .. ولو قد أتى بغيرها لنفذت أيضاً .. ذلك أن ماكينتي كانت قد اصيبت بجلطة في الشرايين .. اقصد أنها .. جيمت .. جاءت رافعة سحبتني الى مكان لست ادري أهو مستشفى أم مشرحة .. أم مقبرة ..

إنني لا أشعر برغبة في الحياة .. انني اريد أن ارتاح ، لو كان عندي أمل في تغيير « جلادي » لكان لي أمل في الحياة .. والموت كثيرا ما يكون أكثر راحة من حياة حزينة بائسة .

(باص)

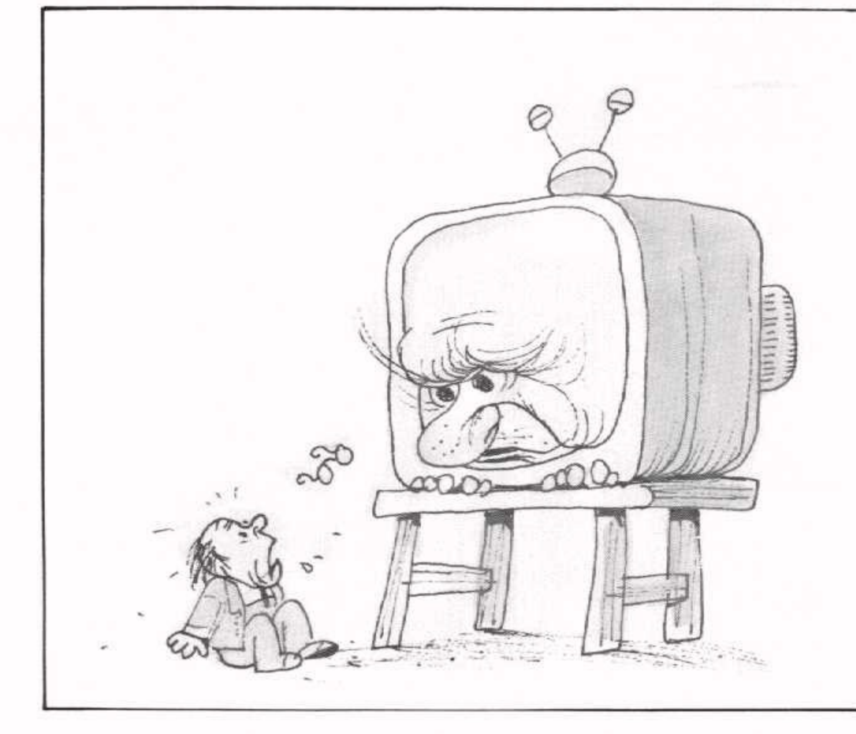




أنا واحد من اخطر نواتج الحضارة الحديثة التي أبدعها العقل البشري ، ذلك العقل الـذي جعـل الكـلام والاصوات تسري قبل قرن من الزمـان عبر الاسلاك النحاسية صانعا أداة « الهاتف » . . « التليفون » . . والذي هو أول اجدادي الذي بهر اسلافكم كما أبهركم أنا الان . . واسم جدى الاول هذا يتكون من مقطعين يدلان على وظيفته . . تماما كما يدل اسمي على وظيفتي . . فاسمه « تلي . . . فون » . . فهو . . الابلاغ . . أو الاخبار . . أو الحديث . . « تلي . . » . . عبر البوق « فون » . . ثم استطاع هذا العقل الطموح أن يوفر تلك الاسلاك الطويلة المكلفة ، فاختصر المسافات والنفقات واستبدل بها موجات الاثير غير المرئيـة فكـان الـلاسلكي . . وكان « الراديو » والذي هو أقرب أجدادي المحدثين . . وكان اباؤ كم يصـابـون بالاستغـراق في الدهشة ـ ولا أقول بالصدفة ـ حينما يرون هذا الصندوق الخشبي الصغـير يصب في اذانهم الاحـاديث والالحـان ، ومنهم من قال أنـه من عمـل الشيطـان ، حتى بطلت افـتراءاتهم حين حمل اليهم التـلاوة لايـات الكتـاب المبين . . . وأحاديث الدين والدنيا . . حتى أصبح شيئا عاديا يحملونه « ترانزستورا » بحجم الكف في غدوهم ورواحهم . . بالحقل والبيت . . والمصنع . . وفي كل مكان .

. . والعقل . . ذلك الجزء من جسم الانسان الذي يقل وزنه عن الكيلوجرامين . .

تلفزيون



هل يقف طمعه أو طموحه عند حد ؟ . . انه بعد ان نجح في نقل الصوت أراد ايضا أن ينقل الصورة مع الصوت عبر الاثير متجاوزا المسافات والقارات . . فظهر أول « مولود » من جنسي قبل نحو الخمسين من السنين ، ووضعوا للمولود اسما يتناسب مع خصائصه ، وهو الذي أحمله أنا أيضا حتى الان ، وهو مكون ايضا من مقطعين . . تلي أى الاخبار أو الابلاغ . . و . . فيزيون . . أي المنظر أو الصورة . . فكأن اسمي « المخبر مع المنظر » وهو كما ترون اسم على مسمى . .

في البداية . . لم أكن استطيع نقل الصورة بألوانها الطبيعية ، بل كنت انقل فقط ظلالها البيضاء والسوداء بدرجاتهما الخفية أو الداكنة . . ولكن ذلك العقل الجبار لا يرضى بما دون الكمال . . فجعل يحس في قدراتي حتى جعلني انقل الصورة بكاملها وكأنها الحياة نفسها . . فصرت تلفزيونا ملونا . .

. . الان وقد عرفتكم بنفسي ونشأتي . . والجهود التي بذلت لانشائي وصنعي وابداعي . . لاستقر في بيوتكم تلعبون بأزراري وقنواتي . . لا يعجبكم العجب . . ولا « الصيام في رجب » . . هذه بلغتكم يا بني البشر . . لعلكم تفهمون . . أو ترتدعون . . وتحمدون نعمتي . .

الان . . أنظـر لحالي . . فأراني اكثـر المخلوقـات تعـرضـا لسـوء المعـاملة ، والنقـد القارص ، فالقائمون على تشغيلي وتغـذيتي يـريدون ارضاء كل الاذواق ، وكل النزعات ، اخذين في الاعتبار أنني أداة ترفيه كما أنني أداة تثقيف أيضا ، غير غافلين عن أنني أتعامل مع الصغـير والكبـير ، والجـاهل والمتعلم ، وأتفاهم مع المثقفة عقولهم كما اتعامل مع المسطحة أفكارهم ، فهم يبثون خلالي أفلاما من عينة « فاجعة فوق السطوح » كما يقدمون اخرى من عينة « ما كبث » ويخصصون وقتا لاعمال المخرجين من عينة الاستاذ « التفيهان » كما يعطون مثله لامثـال الـراحـل سيسيـل دي ميـل ، وكـما هنـاك قناة لعالم السينما فقد أعطوا مجالا لناد للسينـما . . فأنت ترى كل الاذواق وكـل المستـويـات . . فالقـائمون على امري حريصون على أن « يرضوا كل الاطراف » . . ومع كل ذلك فان رضى الناس غاية لا تدرك . . كما هو معروف . .

أنا أخطر أدوات الاعلان والاعلام . . فأنا في كل بيت وأنا في كل عقل ، وأنا في كل قلب . .

وأنـا اداة تثقيف وأنـا أداة ضيـاع . . !! قد أكـون أداة للبنـاء ، وقـد أكـون معـولا للهدم . . لا تعجبوا . . فهذه هي الحقيقة ، فما انا الا اداة . . ان احسنتم استعمالي كنت رسـول سلام وهـدايـة وبنـاء عقل ودين . . وان أسأتم فالعاقبة عليكم وعلى أبنائكم وعلى أسركم . . فمن أعمالكم سلط عليكم . .

يأتي الحوار في احد الافلام الهابطة ـ وما اكثرها للاسف ـ فترى « الدادة » أو « المربية » التي تلازم البطلة منذ صباها وحتى زواجها « التعيس » . . تراها وهي تنطق جملة صغيرة . . بكل لالم وانفطار القلب :

ـ والنبي ده حـرام . . !!

مشـيرة بذلـك الى حال « ربيبتهـا » التـي تتعـذب مع زوجها الذي تزوجها بينما هي تحب غيره ، ويكرس مؤلف القصة والمخرج والممثلون كل فنهم وقدراتهم في جعل الزوج في ابشـع صورة . . جسـما وتفكيرا وقسوة وجلافة ، بينما الحبيب العاشق يكون شابا جميلا . . مفتـوح ازرار القميص غالبـا ليظهـر شعر صدره الكثيف معلنا عن فحولته وشبابه ، وسيما ذا خصلة شعـر متـدليـة على جبينـه النـاصـع ، مفتـول العضلات كريما معطاء يقابل الزوجة العـاشقـة في الحـدائق بين الـورود ، يبـادلها النظرات واللفتات والتنهدات الحارة . . ممسكا بيـدهـا . . يضمهـا ويهم بتقبيلها . . ولكنها تنضر منه وتبتعد كالغزال . . وذلك أنها « ست

متجـوزة » . . عفيفـة لا تريـد أن تلوث حيـاتها بالخيانة ، وهي بذلك تصبر على عشها . . وحبهـا . . وتحـرص على ابقـائـه « حبا طاهرا » ناصع البياض . . وهي لذلك تتعذب . . وتتعذب . . وتتعذب . . ليبقى حبها نقيا طاهرا . . وقد تصل معه الى شقته . . وحتى ال . . . ولكن . . لا . . انها تجري الى الخارج ، بعيدا عن « الخطيئة » فهي شريفة . . وتريد أن تظل شريفة . .

وكأن خروجها مع العاشق ليس خيانة ، وكأن امساكه يدها ليس خيانة ، وكأن كل ما يجري من وراء الزوج . . ما دام دون الفراش . . ليس خيانة . .

وتكون هذه المقابلات . . بتدبير . . وتحت سمع وبصر هذه « الدادة » التـي غالبا ما تكـون « ست طيبـة » . . ترتـدي « طرحة الصلاة » وغالبا ما يكون الزوج منغمسا في عمله كطبيب يؤدي واجبه أو صاحب تجارة يسعى للنجاح ولتوفير أفضل حياة لزوجته . . ما عدا الترفيه والحفلات . . تلك التـي يجيدها فارس الاحلام المشار اليه ، والذي غالبا ما ينتهي الفيلم دون أن نعـرف له عمـلا يؤديـه ، أو صنعـة يرتـزق منهـا ، فهوفقط . . معشوق . . للحب . . وبس . .

ثم تأتي « الـدادة » في لحظـة « صدق » و « تجلي » بعـدما تتعذب مع عذاب مخدومتها على نار الحب والشهوة ـ وكبح النفس عن « الهوى » لتقول :

ـ والنبي . . ده حـــرام !!

لقد أقامت من نفسها ـ بلسان المؤلف والمخرج ـ مفتيا يفتى بأن ما تقاسيه البطلة من

ـ والنبي . . ده حـــرام !!

لقد أقامت من نفسها ـ بلسان المؤلف والمخرج ـ مفتيا يفتى بأن ما تقاسيه البطلة من
عذاب . . انما هوحرام . . ومعنى هذا ان يتعاطف المتفرجون مع هذا المنطق . . ويكون رد الفعـل لديهم أن الخيـانـة هنـا حلال في حلال . . وعـاشت الخيـانـة حرة مستقلة ، وعاش المخرج في لذائذ الاحلام ، بعد أن أدى دوره في نشر الرذيلة بين الانام . . .

★ ★ ★

أنا الضاحك الباكي . . تتخللني أعمال الدراما والمأساة ، كما تتخللني أعمال الفارس والفكـاهـات . . وأكثر زبائني من عشاق فن الكوميديا الضاحكة الساخرة ، أعجب لبعض

الناس حين يعيبون على تقديم أعمال ضاحكة . . « غير هادفة » . . وقد أثاروا قضية عجيبة تطرح سؤالا عجيبا . . عن الضحك للضحك . . أم الضحك للهدف ؟ . . وأنا اقول لهم : أهي جريمة أن يكون العمل الفني بهدف اضحاك الناس وغسل قلوبهم مما يلقونه خلال حياتهم من متاعب وتحطيم أعصاب . . أليس الضحك من أجل الضحك نعمة تجدد نشاط النفس ، وتزيل متاعبها ، وتريح الاعصاب ، وترسم البسمات على الوجوه فتصفو النفوس وتتألف الاسرة من حولي في سعادة وسرور ؟!

ان للوعظ والارشاد برامج يقبل عليها أيضا زبائني من رواد الضحك والفكاهة . . ولا بد من ترويح النفس ساعة بعد ساعة ، فلا خير في قلوب قد جمدت وتحجرت بالجدية والتجهم المستمر . .

انني ككل نعمة انعم بها الله عليكم يا بن الانسان ، بعضكم يحسن استعمالها ، وبعضكم يسيء الى نفسه بسوء استعمالها . .

عندما بدأت خدمتي في منزل الاسرة الذي دخلته قبل سنوات ثلاث . . أذكر انني رأيت واحدا من أبناء عمومتي تبدو عليه مظاهر البؤس والاهمال وقد غزته علامات الشيخوخة ، كان من جنسي الابيض × الاسود ، وحين ادخلوني عليه في مظاهرة من الفرح والابتهاج . . أزاحوه عن عرشه ليضعوني مكانه في حفاوة واحتراس ، فأنا من جنس صاحب الالوان وقد أقاموا لي هوائيا قويا ليحصلوا من خلالي على أكثر البرامج تشوقا وتنويعا . . كنت سعيدا ان اقدم لكل فرد من افراد الأسرة ما يحبه ويهواه من برامج ينتقيها من مختلف محطات الارسال . .

ولكن دوام الحال من المحال . . فقد أتى اليوم الذي أعتبره أشأم يوم في حياتي . . اذ دخل على رب الاسرة بجهاز جديد لم اعرفه في بادىء الامر ، ولكنهم وصلوا ما بيني وبينه ببعض الاسلاك ، واحسست به وكأنه طفيلي يشاركني حياتي ويمتص دمائي ، وسمعتهم ينادونه باسم « فيديو » وكان احتفالهم به كاحتفالهم بي يوم أحضروني ، وأخذ رب الاسرة يجرب الجهاز الجديد حيث سجل عليه بعض برامجي ثم أعاد بثها من خلالي ، ويوما بعد يوم لاحظت أنهم أخذوا يلقمونه افلاما يشترونها جاهزة فيستغنون بها عما سواها من البرامج العادية . . وكانت الكارثة في ليلة لا انساها . . في عمق الليل . . وبعد أن هدأ البيت ونام الجميع . . سمعت وقع خطوات متلصصة تدخل حجرتي ، وشعرت بأحد فتيان الاسرة يشغلني بعد ان حبس صوتي حتى كدت اختنق . . ثم وضع شريطا بهذا الجهاز الطفيلي بعد

ان اغلق باب الغرفة وأوصده بالمفتاح ، وجلس في الظلام يشاهد ما يرسله الشريط الى شاشتي . . وياهول ما رأيت . . كان فيلما جنسيا داعرا لا أجرؤ على البوح ببعض ما فيه ، ورأيت انعكاس ذلك على المراهق الصغير ، ووددت لو أنني أصبت بالسكتة أو استطعت الانتحار حتى لا أكون أداة هدم وتدمير لاخلاق هذا الصغير . .

ويوما بعد يوم تكررت المأساة ، ولاحظ الاب انطفاء نضرة الشباب في وجه ولده ، ورأى انصرافه عن دروسه وتدهور صحته ، ولكن الاب نفسه كان هو سبب المأساه كان قد اشترى تليفزيونا جديدا مع ملحق له جديد ايضا وجعلهما بحجرة نومه ، وكان يأتي بنفس النوعية من الافلام ليراها وحده بعيدا عن الابناء . . كان ذلك قبل شهر من بداية المأساة ، وفي يوم نسي الاب ان يخبيء شريطا من هذه الشرائط ، وجاء الابن - والاب في عمله يجرب هذا الجهاز الجديد فرأى ما رأى وكانت هذه بداية طريق الانحراف .

كنت أعيب على بعض التمثيليات والافلام لهبوط مستواها الفني او الاخلاقي وما تتضمنه من تلميحات جنسية اومناظر مكشوفة ، ولكنني الان اراها نعمة راحت واندثرت بعد ان صدمت بما أراه بين ليلة واخرى من أفلام فاضحة تنخر كالسوس في النفوس والاخلاق . . وفهمت من كثرة ما يأتي به الولد من أفلام ان هذا الداء منتشر بين أقرانه واصدقائه حيث يتبادلون فيما بينهم الكثير من هذه الشرائط المدمرة . .

لهف قلبي ماذا اصنع وأنا جماد محدود القدرات . . ليس لي حق الاعتراض ولا حق الحركة لمنع ما ارى من الجريمة ، وليس لي لسان اصرخ به على الاب منذرا ومنبها لهذه الكارثة خاصة وأن ابنته هي الاخرى علمت بالامر وبدأت تتلصص على اخيها وترى ما يراه

انني اريد ان انادي بأعلى صوت على كل اب وكل رب اسرة أن يرعى الله في دينه وفي اسرته وفي ابنائه ، وان يقتطع من وقته جزءا يعطيه للاهتمام بأمور أسرته وأبنائه وسلوكهم . .

ولكن لانني لا استطيع اصدار مثل هذا الصوت ، فقد أصبحت كل امنيتي في هذه الدنيا أن تحترق كل صماماتي فلا أعود صالحا للعمل . . وعندها فقط استريح . . والى الابد . . من كل هذا العناء والعبث .

« تليفزيون »



اجازة قيادة

انا صغيرة الحجم ، خفيفة الوزن ، ولكنني كبيرة القدر عزيزة النفس ... صعبة المنال ، والناس يتحدثون عني بكثير من الرهبة والاحترام ، وينسجون حولي القصص والاساطير ، انا من جنس العرائس التي يخطب ودها الفرسان ، ومهري لا يقدر بمال ، وانما بجلائل الاعمال ، وحسن الخصال ، مهري فن وذوق واخلاق ، من فاز بي ضمني اليه في فخر واعتزاز .

انا « رخصة القيادة » ... نعم انا وريقة من الجماد ... كل شيء له تاريخ ميلاد حتى لو كان « جماد » ، وله فترة صنع أو فترة حمل كما يسميها الانسان ثم يتواجد في هذه الدنيا بميقات ، فالسيارة مثلا تصنع أجزاؤها وتجمع في أسابيع أو شهور ويكون موديلها هو تاريخ ميلادها ، وهي تحتاج الى فترة حضانة يسمونها « التليين » .

ولكنني غير كل المخلوقات فليست لي فترة حمل محدودة فقد أولد في أيام .. أو شهور أو سنوات ... وفي أحيان كثيرة تتعثر ولادتي .. لكني إذا ولدت فلا أحتاج لفترة حضانة حيث أولد رشيدة مكتملة النضج .

* * *

الزواج للانسان إكمال لنصف دينه ، وأنا بالنسبة للانسان أيضا إكمال لنصف دنياه ، بدوني لا يستطيع قيادة سيارته ، وبالتالي عليه بالوقوف ساعات وساعات إنتظارا لوصول الباص الذي لا يقف على المحطات في العادة ...

كما أن لكل شيء باب يؤتي منه ، كذلك أنا فان لي أبواب وحواجز يجب على طالب قربي أن يجتازها بكل « أدب » والتزام .. وإحترام ..
أهلي يقطنون مبنى كبير إسمه « ادارة المرور » ويشترطون لمن يتقدم لخطبتي ان يكون مواطنا .. مقيما .. ولديه مستندات تثبت ذلك .. عندئذ يسلمونه كتيبأ صغيرأ يعكف على دراسته وفهم مواده بالدرجة الأولى ، ثم يأتي الى دارنا وقتما شاء ممتشقأ سلاح عقله .. ليجيب على أسئلة يضعها أهلي للتعرف على مدى أهلية هذا « الخاطب » ليقف على أعتاب بابي .. فان نال الرضى والنجاح .. فقد اجتاز باب « التحريري » وعليه أن يأخذ استراحة قصيرة في مشوار كفاحه الشاق بأن يزور طبيب العيون الخاص بي ليطمئن على سلامة إبصاره .. وإلا فليستعن « بنظارات » طبية يغدو لاجراء الكشف بها مرة اخرى ..
هذه الخطوة أسهل مرحلة في طريق الحصول علي .. بل إنه يمكن القول بأنها لا شيء بالقياس الى ما سيأتي بعد ..

* * *

لا أطيل عليكم ... باختصار ، فان قانون اهلي يفرض على الخاطب ان يذهب ليثابر على التدريب الشاق والطويل على فنون القيادة واصولها وسلوكها ايضا .. وذلك استعدادا لليوم الموعود .. يوم يسمونه « يوم التراي » .. والتراي كلمة انجليزية تعني « المحاولة » .. في هذا اليوم المشهود يبرز لملاقاة « العريس المسكين » أحد افراد الاسرة تمرس في فنون القيادة ، والذي يثق كبير العائلة في حكمه هو واخوته .. بعض الناس .. بل الكثير منهم يزعمون ان قلوبهم قد جفت من الرحمة ، وانهم طغاة ظالمون لا يعجبهم العجب ولا الصيام في رجب .. ولكن الحقيقة إنهم يدركون قيمتي ، ويقدرونني قدري ، وهم حريصون على الا ينالني إلا من يستحق شرف مصاحبتي ، فأنا بالنسبة لاهلي كالسلاح ... إن وهبوني لمن لا يستحقني فكأنما أعطوا السلاح بيد الجاهل « يطيح » به وسط الناس قتلا وتعذيبا .. إنهم يبالغون أحيانا في دقة اختيارهم لفارسي ، وقد يتعمدون إخفاقه في اول مبارزة يخوضها مهما بلغت مهارته واتقانه لفنون المبارزة .. من إستعمال السيارة في « الصفة » .. والرجوع للخلف .. وعدم الاستجابة لطلبات الممتحن غير القانونية التي يحاول بها ايقاعه في الخطأ .. مثل الوقوف في الممنوع او السير عكس الاتجاه الصحيح وغيرها من الالاعيب التي يلذ لاخوتي تجربة العريس بها أيخضع لاوامرهم ولو كانت خاطئة .. رهبة وخوفا .. ؟ ام انه سيكون ثابتا .. واثقا فلا يقع

في « المعصية » اقصد الخطأ .. والحقيقة ان بعض اخوتي يزيدون في عنتهم وقسوتهم احيانا ، فاذا مشى المتحن بسرعة هادئة اتهموه بالبطء وتعطيل السير ، وان اراد السير بسرعة معقولة اتهموه بالتهور ، وان استعمل آلة التنبيه اتهموه بالازعاج ، وان لم يستعملها اتهموه بعدم الانتباه للعابرين .. ولو كانوا على بعد مئات الاميال .. وهكذا فان اخوتي لانهم من البشر فنادرا ما تجد منهم الرقيق ، وغالبا ما تجد فيهم غليظ القلب ، ولكن .. هدفهم جميعا ، هو الصالح العام ... إنني اشفق على خطابي وأتأثر لحالهم أيما تأثر ، فان رهبة هذا اليوم تجعل أقوى الاقوياء يرتعش من الخوف ، فالبعض يرتعش جسده كله وتتخلخل ركبتاه ، انتظارا وخوفا من المصير ، وبعضهم يتظاهر بالثبات واللامبالاة بينما هو من الداخل ينتفض رعبا ، وبعضهم يخفي انفعاله بضحكة عصبية ، او ابتسامة - للاسف بلهاء ...

وعند بدء المعركة تظهر حقيقته فيبدو هشا غير متماسك ولا يكاد يسيطر على السيارة .. فيأمره اخي بالعودة الى مكان الانطلاق فتتسم على وجهه علامات خيبة الامل ، وقد يجد بعضهم الشجاعة ليسأل اخي عن سبب إخفاقه في نيل الرضا ، ولكن في الغالب يخرج سؤاله متعثرا خجولا فتقطع الانفاس ، ذلك ان حلقه يكون قد اصابه الجفاف ...

وخارج ساحة الامتحان ... يقف الاصدقاء ، والاقارب ، ينظرون الى المتحن وتحركاته وعودته ، وهم يعيشون معه على البعد باعصابهم ، يأسفون ان بدا منه خطأ ولو بسيط ، ويتفرسون في تحركاته محاولين استشفاف النتائج ، وهم غالبا ما يعرفون النتيجة حيث تكون مرتسمة على وجه صاحبهم حين عودته الى ارض البداية ، فان أعطاه إستمارة التدريب خيم عليهم الحزن ، وإن أخذها منه .. دل ذلك على النجاح والفلاح فهنأ بعضهم بعضا ...

* * *

نالني صاحبي قبل ثلاثة شهور ، نالني في المحاولة الثالثة ، يومها اقام وليمة سخية للاصدقاء ، وعاش السعادة بكل معانيها بعد ان تلقى تهاني الاهل والاصدقاء . والآن فانني انظر خلفي لهذه الشهور الثلاثة من عمري ، ظل صاحبي يحس بنبل العلاقة التي ربطتني به ، كان ينفذ تعليمات اهلي ، كان في الخامسة والعشرين من عمره ، ولكنه كان اهلا لكي يحملني ، وشيئا فشيئا أخذ ينسى أو يتناسى ما اعطاه من اجل الحصول علي ، اخذ ينسى الاسس الثلاث التي على اثرها وافق اهلي على ان يعطوني اياه .. الذوق « والاخلاق » وان كان لم ينس الفن .. ربما حرصا منه على حياته ... بالامس وهو عائد من سهرة مع اصدقائه كسر الاشارة وكاد يتسبب في كارثة لسائق آخر في الاتجاه المعارض ، لم يكن هناك شرطة ليعاقبوه ، وكأنما كان هذا انذارا من الله له ، فقد احس بخطئه ، ورأى في المرآه السيارة الاخرى

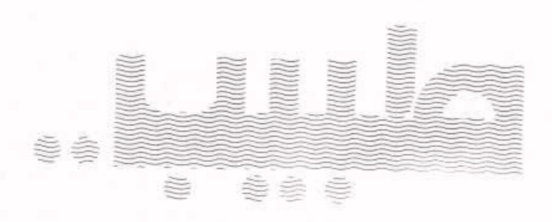
وهي تنحرف لتتفاداه فكادت تصطدم بـ « عامود » الاضاءة لولا رحمة الله ... فاحس بخطئه وندم عليه ..
ولكن يبدو ان توبة الليل لم تكن منه صادقة .. فمنذ صباح اليوم واثناء ذهابه الى الدوام .. كان يزاحم ويداور ويرعب من حوله قوافل السيارات حتى كانت الاشارة التي اصفر ضوؤها ثم احمر قبل وصولنا له بعشرات الامتار .. ولكنه كان مصرا على التجاوز .. فتجاوزها ، ولحسن الحظ فقد كان هناك واحد من رجال المرور راكبي الدراجات النارية ، ويبدو انه كان يتابعه ويرى جرأته واستهتاره ، فما ان وقع صاحبي في الخطأ البين حتى اطلق الشرطي آلة التنبيه المميزة ولحقه في لحظات ...
كان موقفه يثير الرثاء .. كان يرتعش بالخوف والخجل ، وتذكر فعلته بالامس ونجاته من العقاب ، وانضم ندم الامس الى ندم اللحظة ، فوجد نفسه يخرجني فورا من جيبه عندما طلب ذلك منه الشرطي ومعي دفتر السيارة ، وكادت روحه تخرج معي من بين جنبيه ، كانت دقات قلبه تتسابق منذ سمع آلة التنبيه ، لقد أخذ صاحبي يتوسل للشرطي في رجاء ومذلة ، ورد عليه الشرطي منهرا بعد ان نظر في وجهي :
ـ كان الاجدر بك بدل هذا التوسل ان تحترم الاجازة التي لم تكمل معك ثلاثة اشهر ، فتمشي مثل باقي البشر ، انني الاحظك منذ مدة ، فقد لفت نظري استهتارك ورعونتك ... الحقني على المخفر ...
بقدر ما حزنت على صاحبي في مأزقه .. بقدر ما احسست بالسعادة لهذا الدرس الذي تلقاه .. فهو قطعا سوف يدفع الغرامة .. ولكنني اشفق عليه من ان تصل به العقوبة الى السجن ، فلا شك ان عشرتي معه خلقت نوعا من الصداقة بيننا وان كان هو لا يحس بها ، وان كان ايضا لم يصن كرامتي بتهوره ...

* * *

انني اتسائل .. لماذا يتصرف بني البشر بمثل هذا التباين والتعاكس ؟ ... يشقى ويلهث وراء شيء لتحقيقه او الحصول عليه ، وما ان يبلغ هدفه حتى يحطمه بيده ..
ولكني لا املك الا ان اقول .. دنيا !!!

« اجازة قيادة »


سماعة


طبيب..



.. أنا واحدة من الأدوات العلمية .. لكنني أتعامل مع أكثر الأعضاء حساسية .. وأتعرف على كثير من الأسرار والنزعات الانسانية ، وأتعرض أيضا للكثير من الضيق بسبب تصرفات البشر غير المبالية ، ولو ترك لي الخيار في بعض الأحوال ، لانقلبت في يد مستعملي الى سوط يؤدب به بعض الناس .

★★★

منذ سنتين بدأت حياتي العملية .. حيث انتقلت من علبتي الأنيقة ، لأتعلق برقبة طبيب شاب ، يتسم بكثير من الخلال الحميدة التي يفتقدها كثير من أبناء جنسه .. لذلك فقد ظل ـ مثلي ـ يعاني الكثير .. طبيبي يعمل بمستوصف ، وكما يعلم الجميع فان أطباء المستوصفات يكونون دائما مشغولين بهذا العدد الهائل والمخيف من المراجعين بمناسبة وبغير مناسبة ، وبحكم موقعي فانني كثيرا ما أسمع قصصا وحكايات ، تدور بين صاحبي « وزبائنه » من مرضى حقيقيين أو زائفين ، وبين صاحبي وزملائه عن متاعب « المهنة » وشجونها .. ومعظمها يدور حول « سيكولوجية المريض العربي » .. فكل مريض حين يحضر أمام صاحبي يريد أن يستأثر به وبوقته وكأنما يريد الانتقام من ذلك الوقت الطويل الذي قضاه خارج غرفة الكشف في انتظار دوره ، ومهما تكن شكواه فانه لا يقنع بأنه قد لقى الاهتمام اللازم الا أن استقر على صدره وبطنه وظهره ، فان استعمال الطبيب لي في « الكشف » مؤشر الاهتمام حتى ولو لم يكن ذلك مطلوبا ، فالمريض كثيرا ما لا يقنع بكونه مريضا .. وانما هو يريد أيضا أن يكون طبيبا الى جانب الطبيب .. وبعضهم لا يأتينا الا بهدف التسلية وقطع الوقت ..

★★★

أذكر يوما .. وكان صاحبي يبدو قلقا متململا حين دخلت أسرة مكونة من الأب والأم التي كانت تحمل على صدرها رضيعا ، ودخل خلفهم طابور من الأطفال يتكون من ستة أطفال أكبرهم لا يجاوز العاشرة .. كانوا في مجموعهم تسعة أفراد ، وقد أمسك الأب في يده .. بـ « رزمة » من كروت الصحة .. وكتله من أوراق الكشف تساويها وتساوي عدد « الوفد » الزائر .. كان قد بقى على انتهاء الدوام الرسمى لنا بضع دقائق وكان صاحبي قد كشف على أكثر من مائة من

المراجعين ..

نظر اليهم في يأس مشوب بالغضب .. كان يأمل أن يكون سيل المراجعين قد انقطع أو على أسوأ تقدير أن يدخل اليه مريض واحد يختم به الوقت والدوام .. كنت حين يضع ذراعي في أذنيه أحس بطنين نبضه يكاد يطغى على دقات قلب المريض .. كان المسكين يعاني من الأرهاق والصداع وكان يحبس « بوله » صابرا لقرب انفراج الأزمة بانتهاء « الدوام » .. أما وقد حضر هذا الوفد الكبير وما صاحب ذلك من انفعال ، فلم يكن هناك بد من زيارة الحمام ..

تركني على المكتب واستأذن لدقائق ـ مسرعا بالخروج ـ تاركا الأسرة الكريمة معي بالغرفة ..

في هذه الدقائق سمعت حديثا عجبا بين رب الأسرة وزوجته .. فهمت منه أنها تلح عليه منذ يومين بالذهاب للمستوصف بسبب « الاسهال » الذي لزم الرضيع ، وأن الأب قد أهمل ـ بسبب عمله المتواصل صباح مساء ـ حتى أصاب الرضيع ما أصابه من هزال واصفرار .. كان اليوم هو يوم عطلته .. وكانوا يريدون الذهاب لزيارة أقاربهم في هذا اليوم ، فرأوا أن يدمجوا الزيارتين في (مشوار) واحد .. زيارة الأقارب تسبقها زيارة الطبيب ـ على الطريق ـ ولا مانع اذن .. ما دام الجميع موجودين .. من أن يشاركوا في « حفل » الكشف على الرضيع ـ والحصول على ما تيسر من الأدوية ، مع أنني فهمت من حديثهما أن المنزل قد تكدست به أنواع كثيرة من الدواء من أقراص ومراهم وكبسولات وزجاجات .. مختلفة الألوان والأحجام ، وقد ضل عنهم فائدتها وجدواها ..

عاد صاحبي وقد انفرجت أساريره ولكن .. ما أن وقع نظره على هذه « الزحمة » حتى عادت (التكشيرة) الى وجهه ..

وبدأ « حفل الكشف » .. ليكتشف صاحبي أن واحدا من تسعة فقط هو المريض .. وهو الذي يحتاج الى العلاج .. فكتبه له .. ولام الأم على اهمالها لرضيعها حتى ساءت حالته .. ونصحها أن تحافظ على مواعيد الدواء وأن تستقر به في المنزل ولا تعرضه لتيارات الهواء .. و ...

ولاحظت تغيرا ظهر على الوجوه .. فها هي حالة الرضيع تحرمهم من متعة الزيارة الثانية .. وتعيدهم قسرا الى المنزل .. ولخوف صاحبي المسكين مع شكوى « رئيس الوفد » الى أمين المجمع .. فقد كتب لكل الثمانية الباقية (برشاما) .. مختلف أنواعه بين الاسبرين .. والفيتامين .. وكفى الله المؤمنين .. القتال ..

★ ★ ★

في يوم آخر قريب .. وكان صاحبي في نوبة (خفارة) رن جرس التليفون بعد

منتصف الليل .. كان المتحدث هو أمين المستوصف :
- يأتيك الآن شخص يقول أن زوجته بالمنزل تعاني من نوبة قلبية .. أرجو أن تذهب معه .. وستجد سيارة المستوصف جاهزة .
أخذني الطبيب في علبتي ، وركب الى جوار الزوج الملهوف في سيارته ، وسارت خلفنا سيارة المستوصف ، كان الرجل يقود سيارته بسرعة كبيرة ، وأعصاب متوترة .. مما جعل الطبيب يهدئه ويطمئنه .. ليس اشفاقا على مشاعره ، وانما خوفا على نفسه هو وحياته من هذه السرعة الخطرة ..
حين دخلت مع الطبيب غرفة المريضة ، كانت تصرخ من الألم وهي تضع يديها على صدرها مرددة « قلبي .. قلبي » .
كانت شابة في الخامسة والعشرين - وضع أذني فوق صدرها - أنا لا أعرف الكذب .. أهمس لصاحبي بكل ما أسمعه دون زيادة أو نقصان أنا في عملي أمينة لا أعرف الكذب ..
نقلت الى صاحبي دقات قلب منتظمة .. صحيحة .. سليمة .. قوية .. شابة .. نزعني الطبيب من فوق صدرها ومن أذنيه .. وكورني ووضعني في علبتي .. وسمعته يقول لها :
- .. قلبك سليم .. وزي الحديد يا ستي .. مفيش حاجة أبدا .. ثارت ست الحسن والدلال :
- ازاي ؟؟ وأنا أشعر أن قلبي مريض ويؤلمني جدا .. يعني أنا باكذب عليك يا دكتور ..
رد بلهجة حاسمة :
- قلبك سليم مائة بالمائة ، ولا داعي للقلق ، ولا داعي لاقلاق الناس في مثل هذه الساعة .. لعل مريضا آخر يحتاج المساعدة فعلا الآن ..
عند ذلك تخلت السيدة عن دلالها وقالت بلهجة جادة :
- أرجوك يا دكتور .. أن تقول لزوجي أنني مريضة بالقلب ، ولا أمل من شفائي لكي يطلقني .. انني لا أحبه .. لقد أجبروني على الزواج منه وأنا أحب شخصا آخر وسوف أتزوجه بعد الطلاق ... و ...
وقاطعها وقد اختنق صوته بالغيظ :

- ياسيدتي المحترمة .. آسف هناك شيء اسمه شرف المهنة وهذا الشيء يدعونا لعلاج القلوب المريضة وليس لمساعدة القلوب الخائنة ...
ثم خرج مسرعا قبل أن يسمع منها حرفا ..
خارج الغرفة لحقه الزوج في لهفة :
- ماذا وجدت يا دكتور ... ؟

أجابه في اقتضاب مشوب بالشفقة :
- .. لا شيء .. بس شوية دلع ..

★ ★ ★

عندما عدنا الى المستوصف .. وجدنا في انتظارنا مصابا في حادث تصادم وقد نزف الكثير من دمه ، وبذل صاحبي جهدا كبيرا في علاجه ورعايته حتى كتبت له الحياة ، وجعل صاحبي يفكر في هذا الوقت الذي أضاعته امرأة عابثة ، ماذا لو قد تأخر دقائق أخرى ثمنها حياة هذا المصاب ؟

حكايات .. وحكايات .. تحدث أمامي ، لو أن لي لسانا لصرخت بأعلى صوتي .. ما هذه الحياة ؟ .. وما هذا الزيف ؟ .. وحتى متى هذا الخلل .. ؟

★ ★ ★

لست أنسى هذا الشاب الذي أتى يتصنع الاعياء وهو يجر رجليه في خطوات متداعية .. حين سأله صاحبي عما يشكو .. جعل يصف له مجموعة من الأعراض التي هي بريئة منه ، كانت أعراضا كثيرة .. تصلح لمجموعة من الأمراض لو اجتمعت في جبل لهدته ، بل لدكت الجبال من حوله دكا ..

بعد الفحص الدقيق الذي استغرق وقتا يكفي لفحص خمسة من المراجعين ، أخبره صاحبي أن ما يشكو منه هو مجرد أوهام ، ونصحه بعدم الاستكانة لمثل هذه الأوهام .. و .. وقاطعه « المريض » :

- الحقيقة .. يا دكتور .. انني أريد « أجازة مرضية » .. من فضلك .

نظر اليه الطبيب - بعد أن رماني بعنف فوق مكتبه - نظرة صاعقة :

من أمثالك .. أضعت مجهودي وأضعت وقت المراجعين .. ثم تطلب .. (من فضلي) .. !

★ ★ ★

جعل صاحبي يردد قول الرسول الكريم .. « لا تمارضوا فتمرضوا » .. وجعل يحدث نفسه « هذا معقول .. أأقضي وقتي في فرز من هو المريض ومن هو المتمارض .. » .

كنا في نهاية الدوام ، وكان هذا هو (مسك الختام) - ودخل زميله الذي سيستلم موقعه في الدوام التالى فلاحظ أنه يحدث نفسه ، وقد ابيض وجهه من

الغضب .. والارهاق .. فقال له مداعبا :

ماذا بك يا دكتور حلمي ؟ .. انت بتحب واللا ايه ؟ ؟

.. ظل يشكو له حصيلـه اليوم من المضايقات ، فقال له زميله :

ـ يا أخي .. وما هو الجديد في ذلك انها حكاية كل يوم .. وسوف تتكرر ولن تتغير لأنها نتاج طبيعي لطريقة حياتنا ، فقد هجرنا الصدق الى الكذب ، وتركنا الأمانة الى الغش ، ورفضنا الايثار وتمسكنا بالاثرة ، وتخلينا عن الكثير مما يأمرنا به ديننا ولجأنا الى سيئات الحضارة الحديثة نغترف منها ، فلا عجب فيما تراه .. وفي الحقيقة فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .. فهون عليك واذهب لترتاح .. واتركني لأكمل نصيبي من الرحلة .

★ ★ ★

.. في سيارته .. وأنا أدخل علبتي على المقعد المجاور .. كنت أحس بالاشفاق عليه .. وتمنيت لو أنطق فأخبره أن هناك أجهزة حديثة اخترعها العلماء ـ تكشف المريض من المتمارض ـ بعد أن يئسوا من ايقاظ ضمائر الناس من سباتها العميق .

(سماعة)


تليفون

نحن اشقاء ثلاثة .. اكبرنا يعمل باحدى الدوائر الحكومية ، وشقيقي الاصغر يعمل لدى اسرة متوسطة العدد .. اما انا فانني اعمل في منزل عائلة كبيرة العدد بدرجة تكاد لا تصدق ..

مرت بالبلاد عاصفة عاتية صاحبتها رعود وبروق وامطار تنهمر كالسيول ، لقد جعل الله من الماء كل شيء حي .. الناس هنا يطلقون على المطر صفة الخير ، وكلما زاد المطر اعتبروا هذا من علامات رضى الله وزيادة الخير .

اما الهيئة التي نعمل من خلالها ، « هيئة التليفون » فهي الوحيدة التي لا تطيق هذا الخبر ، مدعية ان الامطار تخرب عملها وتتشابك الخطوط ، ولكنني سعدت لهذه الامطار حقا لسببين . اولهما انني قد اخذت اجازة ارتاح خلالها مما يصيبني من ارهاق يومي لا ينقطع ، وثانيهما انها تسببت في تشابك « الخطوط » فكان من حسن حظي ان الاتصال تم رغم انف الجميع ـ بيننا نحن الثلاثة في صدفة عجيبة ولعدة ايام عشناها يشكو كل منا لاخوية ما يعاني من شئون وشجون ـ حتى تم « اصلاحنا » .. ويا للأسف انقطعت بيننا وعدنا الى البعد عن بعضنا من جديد .

★★★

في ايام العطلة هذه جعلنا نتذاكر الايام الخوالي .. ايام ولدنا في مصنع واحد ووضعنا من صناديق مع غيرنا من الاشقاء تمهيدا لانتقالنا الى مقار عملنا الجديد ، كانت رائحة البلاستيك الخام ما زالت تفوح منا قبل ان « تعطرنا » انفاس البشر بسيول الخبث ، والنفاق ، والخيانة .. و .. وكل ما يشتمل عليه قاموس المعاملات في هذا العصر الحديث .

★★★

سألت شقيقنا الاكبر ..

ـ كيف حالك ؟ وكيف سارت بك الايام ؟ لعلك اسعدنا حظا .. فساعات دوامك محدودة ولا شك انك تعمل على قضاء حوائج الناس ، وطوبي لمن سعى لخير الناس واسعادهم ، فانت تعمل في هيئة حكومية .. وكم من المشكلات كنت طرفا ومساعدا في حلها ، وكم من آراء مفيدة تبودلت من خلالك وكم من عقبات للروتين تخطيتها بفضل تكوينك ، وبعدها تنتهي ساعات دوامك ، وتنام مرتاح البال راضي الضمير ، استعدادا ليوم جديد تواصل فيه عملك ، وانت اكثر اشراقا ونشاطا ..و.. قاطعني اخي الاكبر وهو يزفر في ضيق .

ـ رويدك يا عزيزي .. ما هذه الصورة الوردية التي رسمها خيالك لي ؟ الم تجرب الحياة بين بني البشر هؤلاء ؟ ام انك لصغرك لم تستوعب دروس الحياة بعد في هذه الدنيا ؟ ام انهم وظفوك لدى اسرة طيبة فرأيت من خلال اصحابك الجانب المضيء من الحياة ، فحسبت كل الدنيا خيراً لا شر فيها » وورودا بدون اشواك ؟

ـ بالعكس يا اخي .. انما ظننت ان خدمتك في مصلحة حكومية هي السعادة لحل مشكلات الناس وانجاز الامور الجادة والنافعة انني أقاسى ما لا اعتقد ان احدكما يمكن ان يتعرض له او يتحمله .

منذ يومين فقط ، وقبل ان تهب هذه العواصف التي جمعت شملنا ، امسك بسماعتي موظف ثقيل الدم ، وانتهز فرصة غياب زميله بالغرفة وادار قرصى برقم احد مديري الادارات ، ثم اخذ يمطره بوابل من عبارات الشوق والمديح ، ويزف اليه ملاحم الاطراء والتمجيد والمسكين على الطرف الاخر سجين هذا النفاق لا يجد الفرصة للرد سوى بكلمتين ..! « شكرا ... الله يخليك !» وطال الحديث من جانب هذا الثقيل ، واحسست برئيسه على الطرف الاخر وهو يتململ من هذا السخف ، فهو رجل جاد وامامه الكثير من مصالح الناس تأخذ كل وقته ، وهو متمرس بالحياة ويعلم هذا النوع من النفاق ويبغضه ، فاراد وضع نهاية لهذا الجو الخانق وقال في حزم :

ـ نعم يا استاذ وديع .. هل تريد اي خدمة ؟!.. اجاب وديع في صوت متخازل وقد اربكته لهجة المدير :

ـ سيدي ابو مريد .. كنت اريد اتشرف بالعمل معك في اي مكان حتى لو اكون سكرتيرك الخاص ..

ـ اتاه صوت « ابو مريد » هادرا عبر سماعته : والله عندي سكرتيري مجدي رجل ممتاز .. هل تريدني استغني عنه وآتي بك ؟!

وهنا صمت وديع ولم ينطق بحرف ، وافاق من ذهوله على صوت اغلاق الخط .. هذا الوديع .. وديع فعلا ، ولكن .. وداعة الثعابين ، فما اسرع ما استرد انفاسه وادار قرصي برقم رئيس آخر ـ ادار على مسامعه نفس الاسطوانة فلم يكن حظه منه باكثر من حظه من الاول : بل انه اضاف الى رفضه اقتراحا بان يطلب ذلك من « ابو مريد » وسرعان ما غير وديع لون جلده ، وهو يقول بالحاح « يا عم ابو اشرف » انا لا يمكن اطلب العمل مع احد غيرك فانت رجل متحرر ولست بيروقراطيا مثل غيرك .. انا اريد ان اكون في خدمتك انت .

كان ابو اشرف رقيق الحاشية فلم يشأ ان يقول رأيه فيه بصراحة واراد ان يحفظ له ماء وجهه ، فقال :

ـ بعدين .. بعدين في اقرب فرصة ان شاء الله .. ثم اغلق الخط .. ايضا .. كان واضحا ان هذا الموظف من النوع .. النفعي .. الوصولي .. الذي يعتقد ان الغاية تبرر الوسيلة ..، وحكمته المفضلة « من جاور السعيد يسعد » !!

★★★

عندما انتهى شقيقنا الاكبر من شكواه كانت تكسو وجهه مسحة من الالم العميق وانهى حديثه قائلا :

- وهكذا ترون يا احبائي .. انني على غير ما كنتما تعتقدان من الراحة والسعادة ، ولعلي بعد ان حكيت لكما بعض ما اقاسيه من داء النفاق قد اوضحت لكما حقيقة ما اعانيه من آلام ..

★★★

وتلاقت انظارنا جميعا فهالني ان ارى الدموع وقد ترقرقت على وجهِ اخي الاصغر وحين رأى مني نظرات الجزع والاشفاق اسرع يقول :
- حقيقة يا اخي .. ان من رأى بلوى غيره هانت عليه بلواه ، ولكنني حينما ادقق النظر في امري أجدني اكثركم بؤسا واوفركم نحسا ، ولعلني اشدكم من الاصلاح يائسا .

منذ سنتين وانا اعمل لدى اسرة هادئة تتكون من الزوج والزوجة وولديهما سمير وحنان ، كان الاب يسعى على رزقه في كد وحماس ليوفر الحياة الكريمة الهانئة لزوجته وطفليهما ، كان شابا في مقتبل العمر ، وكان طموحه يدفعه لبناء حياته وتأمين مستقبل اسرته ، فهو ينتهز ايام الشباب ليؤمن لنفسه واولاده رغد العيش .
يوم السبت الماضي وبينما الزوجة تداعب طفليها بعد ان انجزت اعمالها المنزلية .. دق « جرسى » ورفعت سماعتي واذا بصوت رقيق من خلالى .
« الو .. منزل فلان ؟ .. وذكر اسما غير اسم زوجها ، النمرة غلط .
- انا معجب .. واريد فقط ان اسمع صوتك ..و .. القت سماعتي فوق جسمي بعنف هز كياني كله ..
بعد لحظة عاد جرسي يرن .. وعاد الصوت مرة اخرى من خلالي :
- ارجوك لا تغلقي الخط حتى تسمعي ما اقول : ان صوتك هو ارق سيمفونية في الوجود .. ولن تخسري شيئا لو اسمعتني صوتك حتى ولو كان سبابا .. فقط لا تغلقي الخط .. لا اريد منك سوى سماع صوتك .. » واحسست بيد السيدة ترتعش من حولي وددت لو ان هذا الانفعال كان إنفعال الغضب ، ورحبت في نفسي بالالم الذي يسببه التقاء سماعتي بجسمي في عنف .. بل تمنيت ذلك .. ولكن يا للاسف .. كان ارتعاشها كارتعاش النبتة يبللها المطر بعد طول جفاف كانت انثى .. امالت رأسها كلمات الاطراء الزائفة .. قالت بصوت خافت :
- وماذا تريد ايها المعجب .. اننا لا يعرف احدنا الاخر قال بخبث : انا قد لا اعرف شكلك .. لكني اعرفك منذ الازل .. الم تؤمني بصلة الارواح ؟
- لكنني متزوجة فماذا تريد مني اذن ؟
- انا لا اطمع الا في رؤيتك للحظات لاطابق صورتك التي في خيالي وسأكون اسعد انسان في الوجود اذا امنحت هذه اللحظات .
- انك تطلب المستحيل .

ـ لا مستحيل في الحب .. حاولي وسوف لا تندمين ..
ـ افكر .. « قالتها في رقة ودلال »
وتركها تفكر .. وطال بينهما الاخذ والرد ، كان كالصياد الماهر الذي لا يتعجل وقوع طريدته في الفخ ، انما يرخ لها الحبل ويداورها وهو واثق من النهاية ، فهي قد مالت ووقعت منذ اللحظة الاولى التي منحت نفسها حرية الكلام والنقاش ، كان معدن صاحبتي رخيصا وخدعت فيها كما خدع زوجها من قبل ، وكان الصياد قد وصل بها الحد الذي جعلها منذ يومين توافق على لقائه .. وقبل ان يحددا موعد ومكان اللقاء كان زوجها قد عاد من عمله فاحست به يدخل المنزل ، واحس العاشق بارتباكها فقال بسرعة :
ـ غدا نكمل حديثنا واتفقا ..
ثم اغلق الخط ..
وكأنما السماء قد اهتزت من هول هذه الخطيئة .. وكأنها اعلنت عن غضبها بهذه البروق والرعود والسيول .. فكان انقطاع الخطوط ، ودعوت الله ان يستمر هذا الانقطاع لا شك ان هذا الداعر يستعجل الاصلاح لنا ولا يريد اصلاح نفسه .. ولعل هذه المسكينة يعود اليها رشدها فترعى حق الله ، وحق زوجها واولادها وبيتها فتبتعد عن الكارثة التي توشك ان تقع فيها ..
ارأيتما يا اخوي ما انا فيه من هم وغم .. لقد كنت سعيدا هانئا طوال سنتين حتى بدأت مأساتي قبل اسبوع واحد فقط ..

★★★

قلت في نفسي وانا انظر الى شقيقنا باشفاق « سبحان من جعل في كل قلب ما اشغله » بل اقول ما اشعله .
واراد اخونا الاكبر ان ينتزعنا من هذا الجو الخانق الذي خلقته حكايات بني الانسان ، فالتفت نحوي وقد رسم ابتسامة على وجهه وقال :.
ـ وانت يا عزيزنا .. ما الذي احدث بك كل هذه الجروح والخدوش ؟
ارى اذنك ملفوفة بـ « البلاستر » وقطعة .. بل قطعتين قد كسرتا من فمك .. وما الذي جعل وصلتك اللولبية بين سماعتك وجسمك متهدلة فتضاعف طولها وراحت فيها صفتها اللولبية الجميلة ؟!
قلت وانا اطلق زفرة مريرة :
ـ ومن غيرهم يا اخي ؟.. وهل غير بني البشر من يسيئون استعمال كل شيء ؟ حتى ولو كان هذا الشيء هاماً ونافعا .. يكفي ان اقول لك انني اعمل لدى اسرة غير محدودة العدد .. الصغار يعاملونني كأنني كرة يتقاذفونها دون رحمة ، والكبار يستعملونني منذ الصباح الباكر وحتى نهاية الليل دون انقطاع .. وفي اشياء تافهة

وبعضها حقير للغاية الغيبة والنميمة تمارسان عبري .. الاسرار الزوجية الخاصة تفشى بواسطتي .. المواعيد الغرامية هي ايضا تتم من خلالي .. كلمات اخجل يا اخوتي ان اتلفظ بها .. الجماد يحزن ويخجل حينما يكون دوره في الحياة حقير وعلى عكس ما صنع من اجله ..

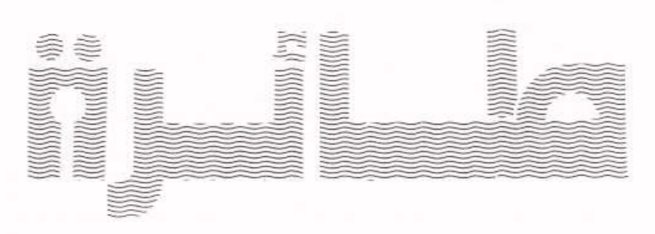
★★★

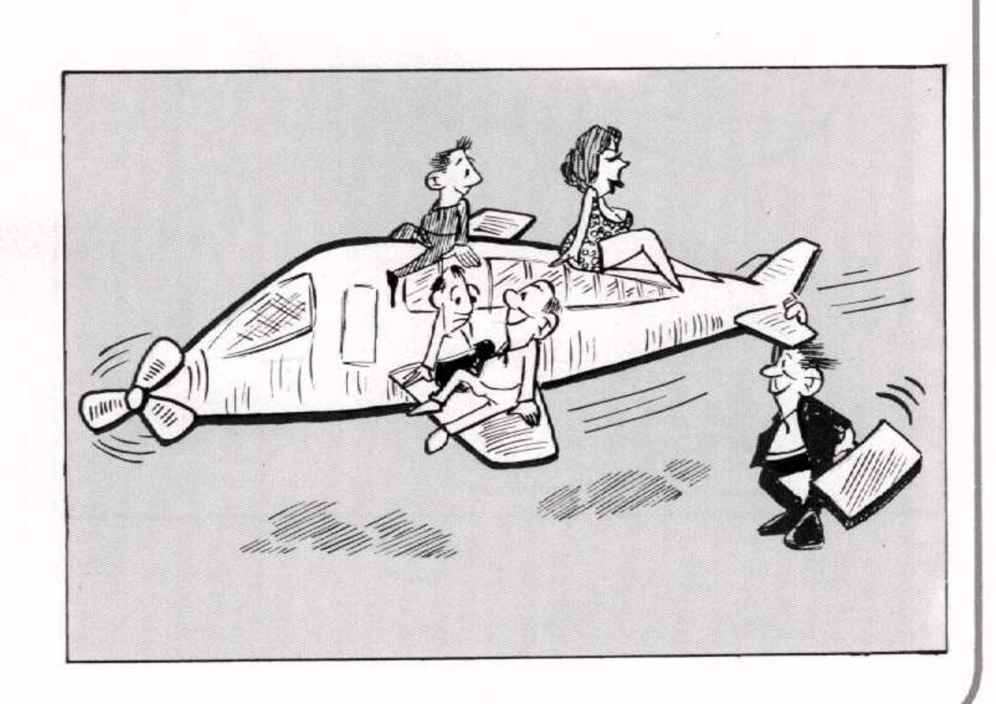
عجيب حقا امر بني البشر .. لماذا يقسون على اكثر الادوات نفعا لهم ، وينحرفون بها عن الاهداف التي صنعت من اجلها .. وعلى الرغم من قسوتهم هذه وجنوحهم لكننا نشفق عليهم ، وندعو الله لهم بالهداية ..

« **تليفون** »




واحد قليل الذوق
كل يوم بيتصل بيعاكسني
مش عارفه اليوم
ليش ما اتصل؟


طائرة



.. كان موعد اقلاعي اليوم هو الثامنة صباحا .. وقبلها بساعتين بدأ الاعداد لتجهيزي لرحلتي المائتين بعد الالف .. يا لهذا العمر الطويل الذي مر بي .. وعمرنا نحن جنس الطائرات لا يقاس بالسنين والايام ، وانما يحسبون اعمارنا بعدد ساعات الطيران .. لقد بلغ عمري حتى الآن ما يزيد على الثلاثة الاف ساعة طيران .. فاعمارنا تقاس بساعات عملنا ونفعنا الذي نؤديه .. ماذا لو حاسب بنو البشر انفسهم بنفس المقياس ؟! لا شك ان الكثير منهم لن تبلغ اعمارهم اياما معدودة ، .. بل قد نجد ان الكثير منهم وان مكثوا بالدنيا قرنا من الزمان فان اعمارهم قد توضع في خانة الصفر ...

ما علينا .. ما لي وللبشر ؟ ! وان كانوا هم الذين ابدعوا صنعي واستعملوني لخدمة مطالبهم .. التي هي احيانا للخير .. واحيانا اخرى لعكس ذلك .. ولكنني والحمد لله انشئت لاهداف الخير .. فانا طائرة ركوب انقل الناس وحاجياتهم من مكان لاخر في سويعات قليلة ، ولذلك فانا بوضعي هذا .. اعتبر نعمة من نعم الحضارة الحديثة ، انمي هذه الحضارة ولا اسعى لتحطيمها ونشر الخراب والرعب فيها ..

نعم منذ الصباح الباكر بدأ الفنيون بفحص اجزائي بكل عناية واهتمام ، فحصوا عجلات الهبوط واطمأنوا على حركتها ، وكذلك دفتي ، والاجزاء المتحركة في جناحي ، وقاموا بتشغيل محركاتي « وعداداتي » واطمأنوا تماما الى ان كل شيء يسير على خير ما يرام .. بنفس الوقت كان هناك من يملأون معدتي بالوقود اللازم لحركتي .. ولعلمكم فان لي مجموعة معدات موزعة على جناحي ، وهي تستوعب كمية ضخمة من الوقود .. ليس هذا لطمع او شراهة اصابتني كما تصيب بعض الناس ، وانما ليتناسب هذا الوقود مع ما ابذله من جهد جبار يرفعني - انا الجسم الضخم - وبداخلي هذه المئات من البشر وعشرات الاطنان من حاجياتهم التي لا يملون من حملها في اي رحلة يقومون بها .. اشياء ثقيلة وتافهة .. وكم سمعت قصصا عن هؤلاء الركاب الذين يقفون امام موظف الوزن يتذللون ويهدرون ماء وجوههم لـ .. « يسامحهم » فيما زاد عن الوزن المقرر لهم ، مستخدمين في هذا السبيل كل الاعيب النفاق « وحركات » التملق الزائف ، محاولين ايهام الموظف بأنه شهم .. كريم ، وكأنهم قد عرفوه قبل هذه اللحظة وعاشروه سنوات .. ولكن الموظف المسكين .. لا تنطلي عليه كل هذه « الحركات » .. وقد تعود على مواجهة ذلك مئات المرات ، فهو يتعامل معهم بحزم .. و .. وقرف .. واحيانا باشفاق .. ولكنه يريد ان يؤدي واجبه ، وينهي عملية الوزن في الوقت المناسب وقبل موعد اقلاعي .. عندئذ .. فجأة .. ويا للعجب .. ينقلب ود « الزبون » الى عداء .. وتخرج من فمه كلمات عصبية عن ..

الظلم .. وعدم الرحمة .. و .. سوء المعاملة .. وبعد ان كان طاويا جناح الذل تحت جلده .. من الرحمة .. اذا به فجأة ينفش ريشه كديك رومي اصيل ، صائحا في كبرياء زائف ـ محاولا تعويض ما اصاب به نفسه من مذلة قبل لحظات :
يا اخي خذ ما تريد وزيادة ان شئت ..
ويمد الموظف يده ليأخذ عشرات الدنانير وكأنما هو يسحب منه روحه معها .
بقى على اقلاعي اقل من ساعة وقد دخلت بطني « مخزن البضائع والعفش » اطنان من الحقائب والصناديق ـ وجلس قائدي ومساعدوه في اماكنهم يطمئنون على ما امامهم من لوحات تحمل العديد من الالوان والارقام والمؤشرات ، وكان طاقم المضيفين والمضيفات كاملا وقد اطمأنوا على مخزن المأكولات والمشروبات املين رحلة دون مشكلات ..
.. فتح بابي لدخول الركاب .. كان الله في عون بابي .. كأنك فتحت فتحة صغيرة في سياج حظيرة ليخرج منها قطيع من الاحصنة البرية طال احتجازها خلف هذا السياج .. الكل يتدافعون نحو الدخول ، وكأنهم يدخلون في « باص » محدود المقاعد .. غير محدود الركاب .. مع انهم قطعا يعرفون ان لكل راكب مكانه الذي لن .. « يطير » .. الكل يجري ليحجز لنفسه مكانا بجوار النافذة .. ولا بأس من وكزة هنا ، وشتمة هناك .. ، وصوت « كالجرس » للست « نبوية » تنادي اختها « شلبية » ، او نداء من المعلم « سبعاوي » لاخيه في « الجدعنة » المعلم « نبعاوي » يهيب به الحضور لـ .. « هنا » حيث الشباك « بعيد عن الجناح » ..
وهكذا .. في كل يوم .. اقصد .. في كل رحلة .. ارى انماطا جديدة وعجيبة من البشر ..
اخيرا .. اغلق بابي .. واطمأن طاقم الطائرة على تمام الركاب حسب القائمة ، واستطاعوا اقناعهم بالاستقرار في مقاعدهم وعدم « البرطعة » في ممراتي ذهابا وايابا بدون مناسبة ، فقد ازف موعد اقلاعي .. ولم يبق غير شاب يريد الذهاب « ليشرب » من براد المياه ، وعبثا حاولوا اقناعه بأن يهدأ ويستقر .. وسوف يأتيه الماء بعد دقائق ، فقد اصر على انه عطشان ومن حقه ـ وقد دفع التذكرة ـ ان يشرب وقتما يريد ـ كان كمن اتى من صحراء قاحلة لا زرع بها ولا ماء ، كان يبدو وكأنه يحارب معركته المقدسة .. ، واخيرا جلس على مضض بعد ان حاصرته صيحات الاستنكار من حوله ، سكن في كرسيه ولكن لسانه لم يهدأ ، فقد اخذ يتحدث عن حق الراكب في الخدمة ، وحسن المعاملة ، وكأنما ظن هذا المحروس انه اشتراني بكامل مشتملاتي رهن اشارته بفليساته ..
ارتفع صوت رقيق يطلب من ركابي ربط الاحزمة وتعاونت المضيفات على مساعدة من لم يعرف ذلك ، واخذ الصوت يشرح للركاب كيفية استعمال قناع

الاوكسجين لمن قد يحتاجه في الارتفاعات التي سأبلغها وكان الشرح مصحوبا باشارات عملية من طاقم المضيفات ..
كنت اثناء ذلك قد بدأت التحرك في سرعة متزايدة على مدرج الاقلاع وانساب صوت قائدي عبر الميكروفونات الصغيرة في ثقة وهدوء :
ـ كابتن جاسم الغريب يحييكم ويرجو لكم سفرا سعيدا على متن الطائرة ٧٠٧ ، ستستغرق الرحلة ساعتين وخمس وعشرين دقيقة ، سنطير على ارتفاع حوالي ٢٨,٠٠٠ قدم ـ ارجو عدم التدخين .. شكرا ..
في اللحظة التالية كنت قد تركت الارض ، واتجهت بأنفي شامخة نحو السماء في زاوية نصف قائمة تقريبا ، مما جعل ركابي يحسون بانفسهم وقد ألقوا الى الخلف لتسند ظهورهم المقاعد ، وبدأ بعضهم وقد اصابه شيء من الذعر وهو يحس بانسداد اذنيه ، بينما بدأ البعض الاخر وكأن الامر لا يعنيه ، بل حاول ان يتحدث ـ بصوت عادي الى جاره ـ ليثبت شجاعته ..
بعد دقائق كنت قد استويت في الجو في مساري المحسوب ، انا احب السماء ، واشعر بالفخر والاعتزاز وفي ذمتي كل هذه الارواح اطوي بها المسافات كلمح البصر ..
فجأة .. بدأت اهتز في عنف ، كنا قد دخلنا منطقة بها جيوب فراغية وهذه بالنسبة لي مثل « المطبات » بالنسبة للسيارة ولقد تعودت عليها ، وانا بتكويني مستعدة لمواجهتها .. اعلن الميكرفون ضرورة الامتناع عن التدخين وربط الاحزمة بالاضافة الى اضاءة لوحاتي امام الركاب بنفس الطلب .. احسست بالقلوب داخلي تخفق وتزيد نبضاتها ، وجعلت الانظار تزيغ في .. لا شيء .. كان واضحا ان الموجودين قد احسوا بما هم مقبلون عليه من خطر ، وتصاعدت الابتهالات بصوت خفيض .. يارب .. يارب .. سمعتها بكل اللغات .. وشعرت بهـا بمختلف الاحاسيس .. كان كل واحد يدعو ربه بلغته وبآيات من الكتب المقدسة كل حسب دينه ..
وسمعت الملائكة تسبح بحمد الله ، وتقرأ آيات من قرآنه الكريم .. انني اسمع الملائكة لا استطيع ان انطق بما اسمع وارى .. رأيت وسمعت الملائكة من حول هؤلاء الناس الذين انقلبوا فجأة الى الله يدعونه تضرعا وخفية .. بعد ان كانوا قبل قليل اقرب الى الشيطان .. رأيتهم قبل قليل يلهون ويأتون افعال نخجل نحن الجماد من ذكرها .. كان احدهم منذ استقر في مكانه لا يكل ولا يمل عن الغيبة فهو يحدث جاره « وصديقه » عن صديق آخر حديثا كله شر ونميمة ، يذكره فيه بكل نقيصة ، ويصب نحوه حقده وصديقه بجواره لا ينهاه عن هذه الخلة الذميمة بل يساعده بالتأمين على كلامه واضافة اشياء اخرى تسيء لهذا الصديق الغائب ..

وذلك الشاب الآخر الذي كان مكانه يشرف على الممر وكان لا يترك المضيفة في غدوها ورواحها دون ان يلقي عليها بكلمات الغزل والاشتهاء المكشوف ، والمبتذل ، وذاك الآخر الذي اخذ يداعب طفلة لا تجاوز الثالثة من العمر قد جلست بينه وبين امها ، واخذت مداعباته المقصودة تتطور الى رسائل مكشوفة موجهة الى الام نفسها التي لم تنظر اليه ولم تستطع منعه من هذا السخف .. حتى .. قالها .. بدون مواربة .. « الكلام الك يا جارة !!» عندئذ نهرت الام طفلتها وجذبتها نحوها في عنف لا تعرفه الامومة ، ولكن يعرفه السلوك الشريف .

كل هذا الآن انتهى .. وعلت الوجوه صفرة باردة .

وجعلت اردد مع الملائكة ايتين من سورة الانعام تتحدثان عن مثل هؤلاء :

« .. قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين (٦٣) قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون (٦٤) » .

وجعلت افكر .. الانسان لا يتذكر ربه الا حينما يقع في ورطة او تهدد حياته الاخطار ..!!

بعد دقائق مرت على ركابي كأنها الاعوام كنت قد اجتزت مرحلة الخطر .. ونادت المضيفة على الركاب في صوت مفعم بالثقة والاطمئنان ان قد زال الخطر ، وان بامكانهم فك الاحزمة « والتقاط الانفاس » ، عندئذ عاد الجميع سيرتهم الاولى ، وقليل منهم من رجع عما كان فيه من سخافات ، اما الكثير منهم فقد طالبوا بالمزيد من « الويسكي » وقد نسوا انهم كانوا قد تابوا الى الله وعزموا على الا ياتوا منكرا منذ لحظات ، .. وهذا هو الانسان .. انه ظلوم كفار ، وهو في ذلك لا يظلم غير نفسه ، فلا حول ولا قوة الا بالله ..

★ ★ ★

استغرقت هذه الاحداث وقت الرحلة ، وعاد صوت المضيفة يعلن قرب هبوط الطائرة الى محطة الوصول ، ويطلب مجددا من الركاب عدم التدخين مع ربط الاحزمة وبدأت الهبوط .. وما ان لامست عجلاتي ارض المطار حتى دبت الفوضى من جديد في داخلي ،.. تماما كما فعلوا قبل اقلاعي .. حولوني مرة اخرى الى مكان يعج بالفوضى والصياح والصخب .

ألم اقل ان الانسان يتعامل بمنتهى الهمجية .. حتى مع اكثر الاشياء تحضرا مثلي ؟!!

(طائرة)

وختامها محبة

أخي الإنسان ...

كانت تلك الصفحات نظرات وتأملات في «العلاقات الإنسانية» بين الانسان والجماد .

قد أكون قسوت بعض الشيء ... وقد تكون نظراتي لتلك العلاقات مثالية إلى حد ما ، ولكن دافعي في ذلك هو تحقيق حلمي الأبدي في أن يعيش الإنسان في كل زمان ومكان في حالة حب دائمة مع كل شيء حوله .. فهذا غاية السعادة .

متى أحب الإنسان تبدل كل شيء حوله وتلون بالفرح .

الحب ولادة جديدة ...

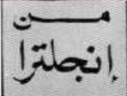
الحب بعث وحياة . الأشخاص . الأضواء . الألوان . الجماد . المشاعر ... كل ذلك ولادة جديدة تّبعث مع الحب وتتلون بلون الفرح .

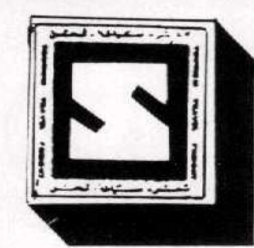
واخيرا ...

اتمنى لك عزيزي الإنسان ولادة متجددة في علاقاتك الإنسانية .

محمد مصطفى



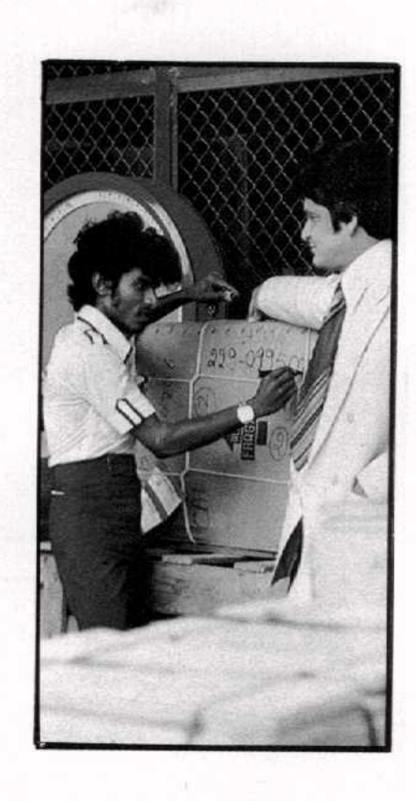






من
إنجلترا
وفرنسا
وجميع
دول
العالم

شحن البضائع
تقوم
وكالات سلطان
للسفريات
بشحن بضائعكم
إلى القاهرة والخرطوم
وصنعاء وجميع
دول العالم
حيث تقوم باستلام
البضائع من منازلكم
بدون أي أجور
إضافية



تعني

أرخص الأسعار
وأسرع الخدمات

IMPORT

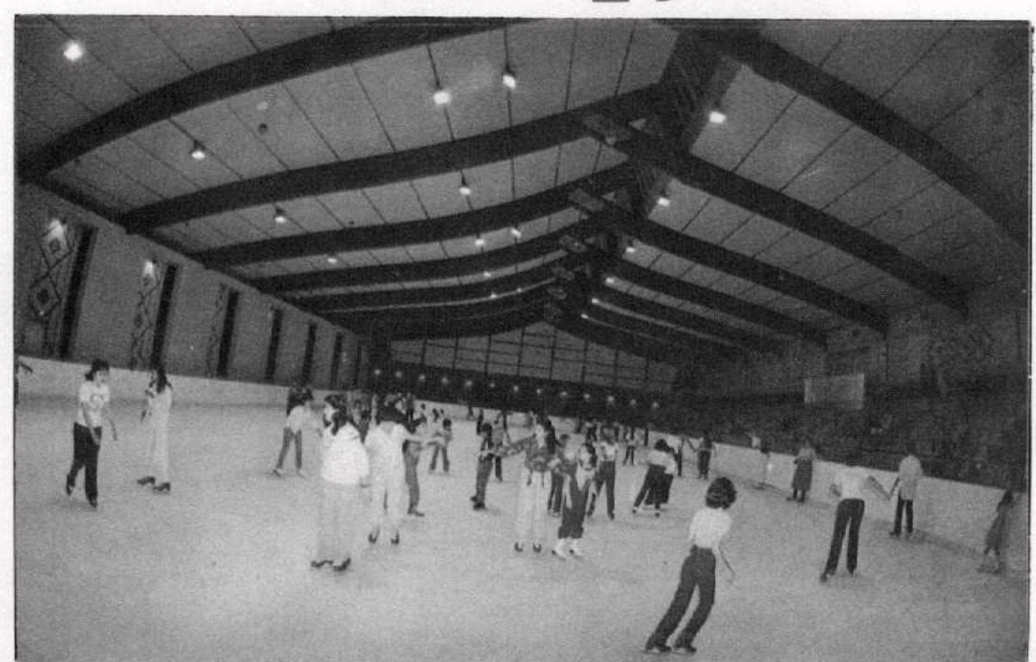
المركز الرئيسي :
شارع فهد السالم - عمارة
سعاد الحميضي - خلف
فندق فينيسيا
ت/ ٤٢١٩٩١ - ٤٤٣٣٧٨


في وسط المدينة يتألق مطعم ونادي
برج الكويتية
أوقاتاً ممتعة
برامج فنية شيقة ومتجددة
مع باقة من ألمع نجوم الفن
يومياً لقاء متجدد مع أوركسترا المغامرون الغربي
الغداء بوفيه لبناني فاخر ..
جو عائلي فريد .
استعداد تام لاقامة حفلات الاعراس والمناسبات المختلفة .
مع تحيات مطعم ونادي برج الكويتية
للحجز تليفون ٤١٢٤٠٠/٤١٢٤٠١



شركة المشروعات السياحية ش.م.ك

صالة التزلج على الجليد



٧ ايام في الاسبوع

تعال وشارك الآلاف متعة التزلج على الجليد في صالة الكويت ذات المستوى العالمي الرفيع .

فترات العمل اليومي
١- من ١٠ - ١٢ظهرًا ٢- من ١٢،٣٠-٢،٣٠ بعد الظهر
٣- من ٣-٥ مساءً ٤ - من ٦ - ٨،٣٠ مساءً

اما التدريب فيتم يوميا ما عدا الخميس والجمعة من الحادية عشرة حتى الرابعة بعد الظهر

للاستفسار هاتف ٤٢٦٧١٢ / ٤٢٦٧١٥


زيــارة .. واحدة
توفر عليك
عناء البحث
عن كل ما
يجعل من بيتك
واحة من
الجمـال.
لمعرض
l'ape regina
مملكة النحل
بمجمع النقرة الشمالي - ت : ٤٦١٢٠٠٠
مع تحيات شركة الجمجمة للتجارة والمقاولات



عبر العالم للسفريات

الرائدة في عالم السفريات

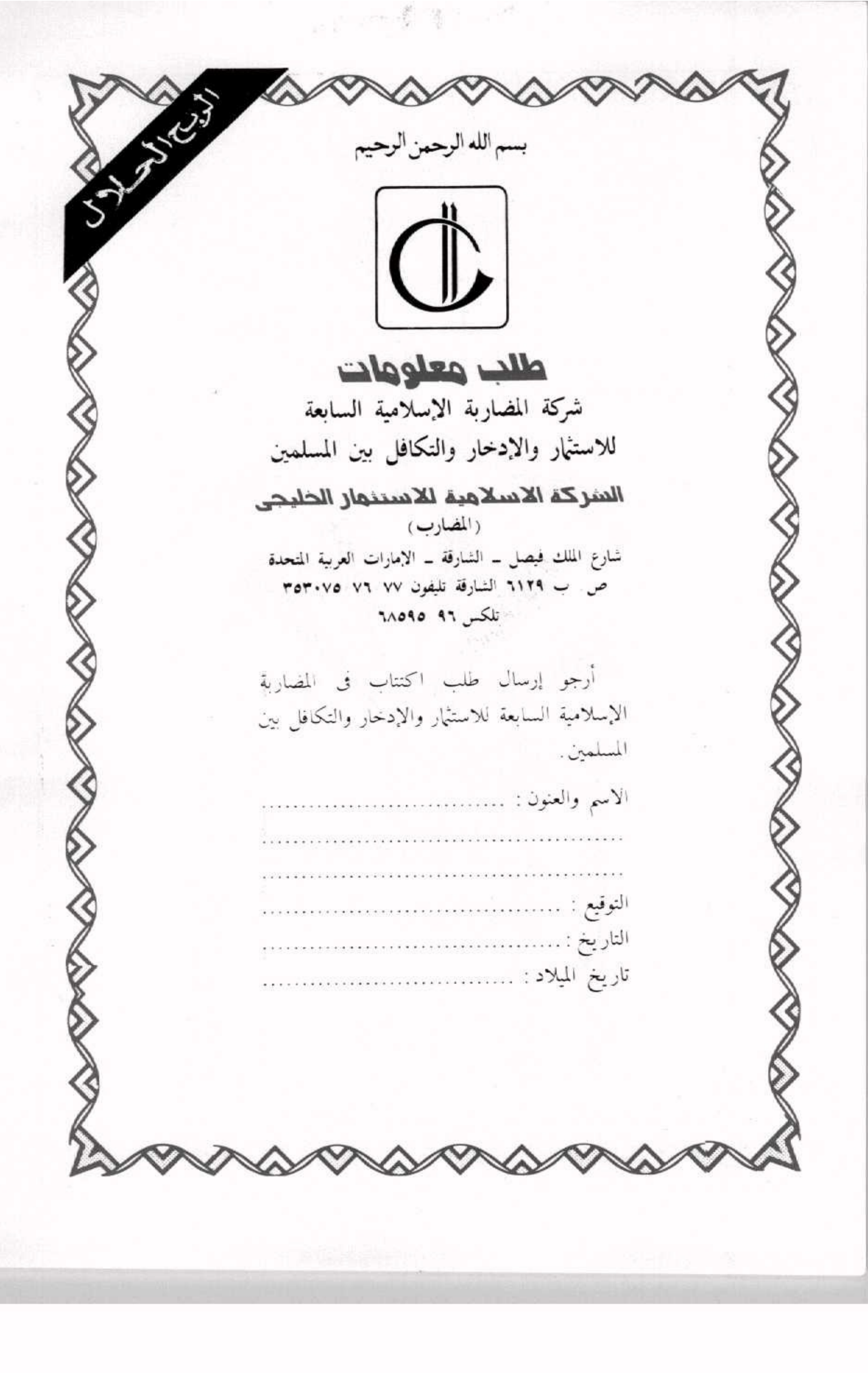
شارع فهد السالم - عمارة الأنبعي - قرب حديقة البلدية - مقابل مجمع الراشد والعنيزي
تلفونات: ٤١١٨٠١ / ٤١١٩٠١ / ٤١٤٣٦١ / ٤١٤٣٧١

رحلات الصيف

إسم الرحلة	تاريخ المغادرة – الرحلة الأولى	تاريخ المغادرة – الرحلة الثانية	عدد الأيام	السعر د.ك
جنيف - باريس - كوبنهاجن - لندن	٨١/٦/١١	٨١/٧/٣٠	٢٩	٥٥٠
جنيف - باريس - لندن	٨١/٦/١١	——	١٩	٤٥٠
قبرص - أثينا - روما	٨١/٦/١١	٨١/٨/٦	٢٠	٣٥٥
إسبانيا - المغرب	٨١/٦/١١	——	٢١	٥١٠
جنيف - باريس - اسبانيا	٨١/٦/١١	٨١/٧/٣٠	٣١	٥٤٠
باريس - إسبانيا - لندن	٨١/٦/١١	٨١/٨/١	٣٠	٥٨٠
قبرص - أثينا - بلغراد - دوبرنوفيك	٨١/٦/١٣	٨١/٨/١	٢١	٣٨٥
روما - نيس - باريس - لندن	٨١/٦/١٤	٨١/٨/٩	٢٣	٤٩٠
روما - ميلان - امستردام - لندن	٨١/٦/١٤	٨١/٨/٢	٢١	٤٦٥
أثينا - فينا - براغ	٨١/٦/١٦	——	٢٣	٣٧٠
هونج كونج - مانيلا - سنغافورة - بانكوك	——	٨١/٨/٢	٢٧	٥١٠
الهند - كشمير	——	٨١/٨/٣	٢١	٣٦٠
اسبانيا - المغرب	——	٨١/٨/٣	٣٠	٥٩٠
سنغافورة - مانيلا - بانكوك	——	٨١/٨/٣	٢١	٤٣٠
بتايا - شنغهاي - بانكوك	——	٨١/٨/٣	١٨	٣٧٠
أثينا - فينا - براغ	——	٨١/٨/٦	٢١	٣٦٠

هذه الرحلات مستوفية لشروط إتحاد مكاتب السياحة والسفر الكويتية بموجب موافقة رقم: ٨١/١/٢١


إمرحوا
رينو . سيّارات إستثنائيّة . لطرقات إستثنائيّة .
امرحوا مع سيّارة تتمسّك بطرقات الجبال المتعرّجة ،
وتلتهم المرتفعات بنعومة ، وتتغلغل داخل المدينة وتقلع
كالشهب عند الاشارات الضوئيّة .
امرحوا مع سيّارة مجهّزة تجهيزاً رائعاً ومصمّمة تصميماً جديداً
من الداخل . والآن ، رينو ٥ متوفرة ببابين و ٤ ابواب ،
وتحتوي دائماً على باب خلفي واسع يفتح لسعة حقائب أكثر ،
وطبعاً هنالك مكيّف هواء عند الطلب . هذه هي رينو ٥
بكامل نضوجها . امرحوا مع رينو ٥ الجديدة .
رينو ٥



الربح الحلال

بسم الله الرحمن الرحيم

طلب معلومات

شركة المضاربة الإسلامية السابعة
للاستثمار والإدخار والتكافل بين المسلمين

الشركة الاسلامية للاستثمار الخليجى
(المضارب)

شارع الملك فيصل ـ الشارقة ـ الإمارات العربية المتحدة
ص ب ٦١٢٩ الشارقة تليفون ٧٧ ٧٦ ٣٥٣٠٧٥
تلكس ٩٦ ٦٨٥٩٥

أرجو إرسال طلب اكتتاب فى المضاربة الإسلامية السابعة للاستثمار والإدخار والتكافل بين المسلمين.

الاسم والعنوان : ....

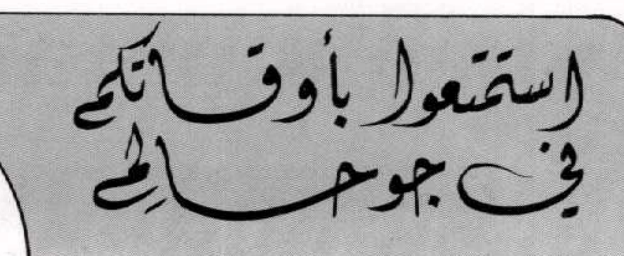
....

....

التوقيع : ....

التاريخ : ....

تاريخ الميلاد : ....





عند زيارتك لنا ستجدنا بانتظارك لنقدم لك خدماتنا المميزة
وسط أجواء عائلية راقية وأطباق شهية منوعة ..
تتناولها وأنت تشاهد مناظر خلابة رائعة ..

● مجموعة من المطاعم الفخمة تستقبلكم في الأوقات الآتية :

دسمان والصبية
من ١٢-٣ بعد الظهر، من ٧-١١ ليلاً

البوفيه (القبة)
من ١٢-٣ بعد الظهر ومن ٧-١١ ليلاً (الخميس فقط)

الكافتيريا ومقهى الشرفة والكرة الكاشفة
من ٤-١١ ليلاً

للاستفسار هاتف ٤٤٤٠٣٢-٤٤٤٠٣٨

الحفلات من كل نوع ولكل مناسبة وفي أي مكان اختصاصنا فقط
اختر الوقت والمكان المناسبين .. واترك لنا الباقي فنحن نعرف
كيف نجعل من حفلتك مناسبة تفخر بها وتعتز .

مع تحيات


شركة المشروعات السياحية ش.م.ك


بســــــم الله الرحمن الرحيم
بنك مصر
فرع الحسين للمعاملات الإسلامية
٦٤ شارع الأزهر - القاهرة
أول بنك تجاري مصري يزاول نشاطه طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية
بإشراف أحد علماء الأزهر الشريف
يقبل جميع أنواع الودائع بالجنيه المصري والعملات الأجنبية "دولار - استرليني" من:
أ- فتح حسابات جارية بالاطلاع بدون أية مصاريف. ب- فتح صناديق ادخار بدون عائد.
حـ- فتح حسابات استثمار لأجل للمشاركة في كافة نشاطات البنك المختلفة تدر عائداً حلالاً بإذن الله.
د- فتح صناديق توفير استثمارية للمشاركة في كافة نشاطات البنك تدر عائداً حلالاً في نهاية العام.
يقوم بجميع الخدمات المصرفية بما أحله الله
أ- فتح الاعتمادات المستندية "استيراد وتصدير"
ب- شراء وبيع العملات الأجنبية
حـ- إجراء التحاويل الداخلية والخارجية
د- إصدار خطابات الضمان الداخلية والخارجية.
هـ- تحصيل الأوراق التجارية.
و- شراء وبيع وحفظ الأوراق المالية وتحصيل كوبوناتها
ز- عمليات الاكتتاب في أسهم الشركات
يشارك عملاءه كافة مشروعاتهم التجارية والصناعية والزراعية والعقارية بالأسس المقررة شرعاً.
• يوزع ناتج الربح الحلال على عملائه المستثمرين وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية
• يوفر البنك لعملائه رأس المال والخبرة المصرفية وكافة الخدمات والدراسات اللازمة لإنجاح مشروعاتهم
جميع فروع بنك مصر المنتشرة في أنحاء مصر تخدم
فرع الحسين للمعاملات الإسلامية كمراسلين له.

تلتقي
الانيقات
في أزياء



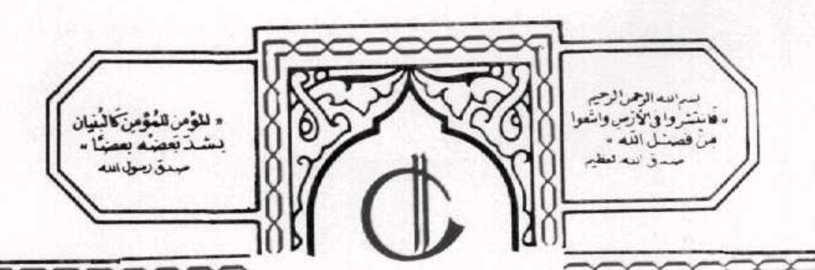




أزياء البتول السالمية شارع سالم المبارك ت ٦٥٨٩١٩-٦١٦٢٤٠



هذا هو الترفيه
3 SYSTEM
PAL
SECAM
NTSC 4.43
TOSHIBA COLOUR PICTURE SEARCH
TOSHIBA
3 VIDEO V-5480
مؤسّسة الأجهزة الالكترونيّة
EAC



الشركة الإسلامية للاستثمار الخليجي

الشـــارقـــة

تواصل رسالتها في دعم الاقتصاد الإسلامي بطرح صكوك

شركة المضاربة الإسلامية الرابعة للاستثمار الجاري

١ ـ الاهــداف :

– تحقيق الربح الحـلال لرأس مالك عن طريق الاشتراك فى استثمارات تجيزهـا الشـريعة الغـراء من خـلال الشركة الاسلامية للاستثمار .

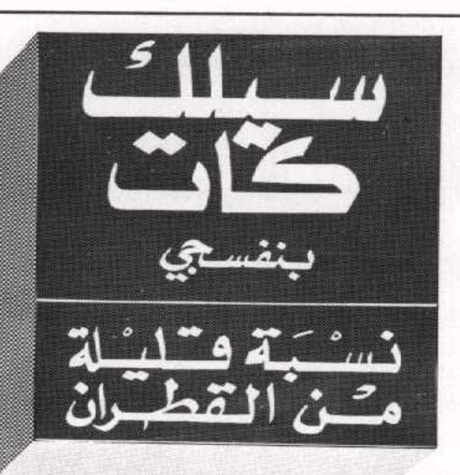
– مضاعفـة رأس مالك وارباحك عن طريق شراء مزيد من حصص المضاربة الاسلامية بصفة مستمرة .

– توفير السيولة النقدية للمستثمرين فى حالة الاحتياج اليها عن طريق استرداد حصص المضاربة الاسلامية .

كل حصة مضاربة تمثل ١٠ دولار امـريكى قابلة للزيادة حسب ماتحققـة من ارباح .

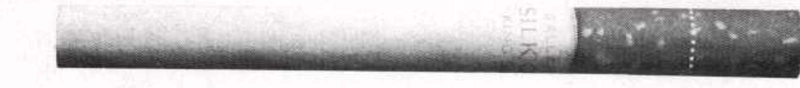
لمزيد من المعلومات يرجى الاتصال

١ . ص.ب ٤٧٦٦ الصفاة
٢ . مكتب الشركـة الاسلاميـة بالشارقـة ص.ب ٦١٢٩ تليفون ٣٥٣٠٧٥
٣ . مكتب الشركة الاسلامية بأبو ظبي . ص.ب ٧٦٦٧ تليفون ٣٣٧٦٥٠
٤ . بنك دبي الاسلامي بدبي .
٥ . يونا تيد ليمتد بالعين .
٦ . بنك القاهرة . رأس الخيمة .



سيلك
كات
أصفر
أدنى نسبة
من القطران

سيلك
كات
ازرق
نسبة أقل
من القطران



سيلك كات فقط تقدم سيجارة ذات محتوى قليل من القطران والنيكوتين لكل ذوق .

ان كنت تدخن سيجارة تحتوي على نسبة عالية من القطران والنيكوتين ، فإن حاسة التذوق يلزمها بعض الوقت كي تتمتع **بسيلك كات** تماماً . إبدأ **بسيلك كات البنفسجية** ، السيجارة ذات المحتوى القليل من القطران والنيكوتين . وبعد مدة ، سوف تجد نفسك مستعداً لتجربة **سيلك كات الزرقاء** ، ذات المحتوى الأقل من القطران والنيكوتين . أما إذا كنت تريد تقليل نسبة القطران والنيكوتين أكثر وأكثر ، فعليك **بسيلك كات الصفراء** ، السيجارة الإنجليزية التي تحتوي على أدنى نسبة من القطران والنيكوتين . لذلك ، لا تنتظر النجاح مع أول سيجارة ذات قطران ونيكوتين قليل . قد يلزمك أسبوعان لتعتاد عليها وتتمتع بها .

سيلك كات ... السجائر الرائدة في ميدان تخفيض القطران والنيكوتين .

صنع إنجلترا

تحذير رسمي : التدخين سبب رئيسي للسرطان وأمراض الرئة وأمراض القلب والشرايين

الآن تستطيع الحصول على شقتك بالمواصفات التي تتمناها

شركة ملاكو اليمار انترناشيونال تحقق لك ذلك..

بعد أن حققت شركة ملاكو اليمار إنترناشيونال شهرة واسعة بمصر في مجال الاستثمار العقاري بهدف المساهمة في حل أزمة الإسكان التي تتزايد يوماً بعد يوم ، وذلك بإقامة مشروعات كبيرة تضم مئات الوحدات السكنية الراقية التي تتوفر بها جميع الوسائل التكنولوجية المتقدمة .. بعد أن غيرت الشركة الموازين في سوق الإسكان في مصر بأسعارها التي لا تنافس

.. قامت بتوسيع نطاق خدماتها لتشمل المصريين العاملين في الكويت ودول الخليج والسعودية بالاضافة للاشقاء العرب الراغبين في الاقامة بأرض مصر الطيبة .. فخصصت لهم مجموعة من الوحدات في مشروعاتها التي تقيمها في أرقى مناطق القاهرة والاسكندرية .

(إفتتحت الشركة مكتبها بالكويت بشارع فهد السالم بناية البسام تستقبل الراغبين في اختيار شققهم وفقاً للمواصفات التي يحلمون بها وعندما نتوقف قليلًا لنلقي نظرة سريعة على مشروعات شركة ملاكو اليمار إنترناشيونال نجد صروحاً عمرانية شامخة تنهض عملاقة على أعين العالم كأروع ما يكون الاعداد والتنفيذ . عشرات المنجزات من الابداع المعماري والفن المبهر اجتمعت لها خلاصة خبرة العالم وعصارة العقول الفذة في الهندسة وادارة المشروعات تخدمها الخبرة والتكنولوجيا الامريكية الاوروبية الحديثة ، وتعاونها صفوة الكفاءات الوطنية النادرة كمستشارين للتسويق والاقتصاديات .

مشروعات ضخمة لا تكاد تنتهي حتى يبدأ غيرها أعظم منها ، تجاوزت تكاليفها هذا العام ٥٠ مليوناً من الجنيهات ، يدعمها رأسمال الشركة الذي لا يعرف القروض ، ويعززه رصيد هائل من الثقة على كافة المستويات ، تدل عليه وتؤكده قوائم الارتباط والتعاقدات لآلاف المواطنين حاجزي الوحدات السكنية .

ميزات ثابتة في مشروعات الشركة

١ ــ ملحق بكل المشروعات ــ سوبر ماركت ــ جراج ــ عدد كاف من المصاعد الأوتوماتيكية .

٢ ــ مولد كهرباء احتياطي يعمل فور انقطاع الكهرباء

٣ ــ خزانات اضافية للمياه تضمن وجود المياه طوال اليوم .

٤ ــ نظام حديث للتخلص من القمامة أوتوماتيكياً .

٥ ــ نظام اتصال تليفوني داخلي وخارجي .

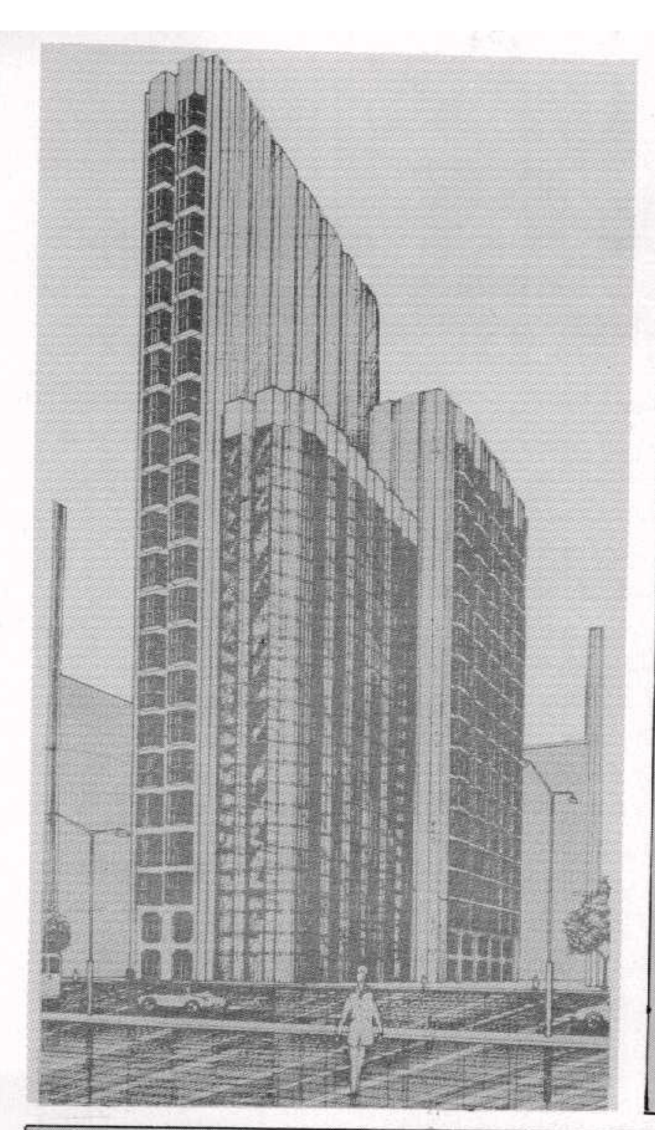
٦ ــ نظام انتركوم وانتركول .

٧ ــ ايريال تلفزيوني مركزي .

٨ ــ غسالات مركزية وسخانات لجميع الشقق .

٩ ــ صناديق بريد خاصة .

١٠ ــ مدير مقيم مسؤول عن الخدمات وادارة المبنى .



(مشروعات الشركة)

١ ــ رشدي سنتر ٤٥٦/٤٥٨ طريق الحرية ــ الاسكندرية
٢ ــ جولي سنتر ٤٢ شارع جول جمال خلف ويمبي المهندسين ميدان الساحة بالدقي
٣ ــ شبرى سنتر ميدان الساحة بالدقي
٤ ــ هيلو سنتر ميدان هيوبوليس بمصر الجديدة .
٥ ــ ستي سنتر ٩ شارع الفسقية بجاردن سيتي
٦ ــ تريومف سنتر ميدان التضحية بمصر الجديدة .
٧ ــ شوتنج سنتر شارع الحسين بجوار نادي الصيد .
٨ ــ توبي سنتر مدينة المقطم .
٩ ــ تحرير سنتر امتداد شارع محي الدين أبو العز بالدقي .
١٠ ــ سكاي سنتر ٢٨ شارع مراد بالجيزة.
١١ ــ نايل سنتر ملتقى شارع النيل .
١٢ ــ بلومارين سنترسيدي بشر ــ تطل على الكورنيش بالاسكندرية .
١٣ ــ عجوزة سنتر بالعجوزة .

للحجز والاستعلام

الكويت ــ شارع علي السالم بناية البسام الطابق الثاني ت ٤٢٦٢٨٠ ٤١٠٩١٤

أ ــ أ.د. مهندس محمد زكي حواس ٣٣ ش قصر النيل القاهرة هـ : ٧٤١٨١٩

ب ــ د. مهندس مدحت درة ٤٣ أ ش قصر النيل ــ القاهرة هـ : ٩١٩٧٧٤

جـ ــ بنك الأهرام ١٤ ش الألفي ــ عمارة الثورة ــ القاهرة

د ــ بنك الأسكندرية الكويت الدولي ١١٠ ش قصر العيني ــ ميدان التحرير ــ القاهرة

هـ ــ مقر الشركة ٨ ش فوه ــ المهندسين ــ القاهرة هـ : ٨٠٩٧٢٠

شركة الوماكو ALOMACO

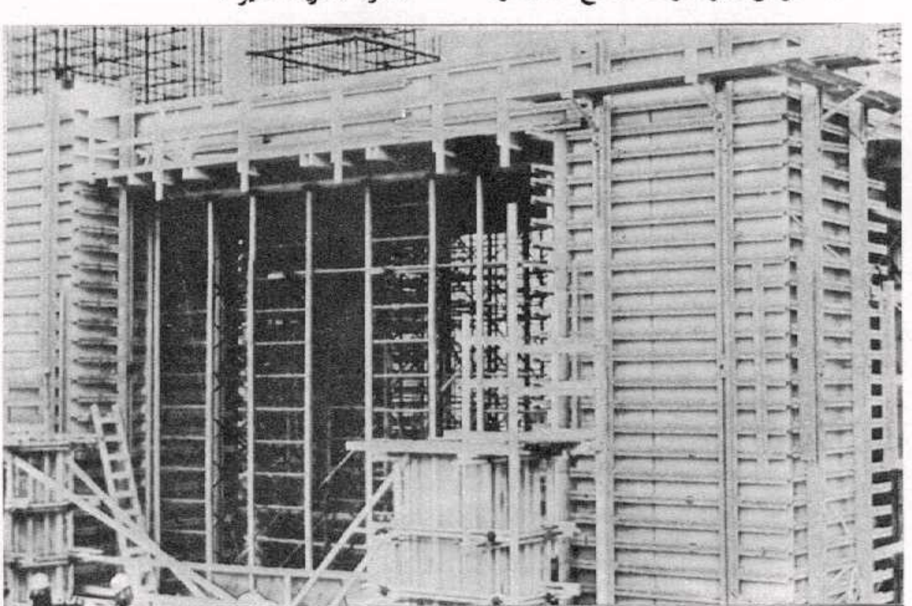
لأول مرة في مصر ... شدات ألوما العالمية ...

... وتطور الزمن .. وأصبح الوقت هو أثمن الأشياء في حياة الانسان لذا عكف العلماء والمتخصصون على درساة أفضل السبل للحفاظ على هذا الثمين الذي يوصف بالذهب ألا وهو « الوقت » .

وعندما نتابع عملية بناء عمارة مثلًا نلاحظ مدى الجهد والوقت اللذان يبذلان في سبيل ذلك ، ولكن للقرن العشرين سمات حضارية وإنجازات علمية ساهمت في تغيير كثير من الموازين خاصة في عملية البناء التي شهدت تطوراً تكنولوجياً هائلًا .

والحديث عن « نظام الوما » للشدات المصنوعة من سبائك الالمونيوم .. حديث هام للمتخصصين وجذاب للذين يهتمون بمتابعة تطور العلوم التي تساهم في رقي الانسان وتحضره .

منذ أكثر من عشر سنوات استطاع علماء شركة « الوما » سيستمز الكندية إبتكار نظام الشدات المعدنية لأول مرة لتحل محل الشدات الخشبية التي تفقد نسبة هالك كبيرة نتيجة الاستعمال عدا ما تسببه المساحات الثابتة للخشب من عدم استعمالها إلا في قياساتها المحدودة ، وحل نظام « الوما » أيضاً محل الشدات الحديدية التي تتسم بثقل وزنها وعدم مرونتها أيضاً بالاضافة لحاجتها الدائمة للصيانة وتكلفتها الباهظة التي تصل إلى ثلاثة أضعاف تكلفة شدات الوما ونظرا لنجاح هذا النظام فقد سارعت الدول المتحضرة في إقتناء هذا النظام الفريد حيث وصل عدد الدول التي دخلها نظام « الوما » ٢٥ دولة وقد حاولت بعض الشركات الطفيلية تقليد نظام الوما فقاموا بصنع أنظمة مماثلة بعد أن أدخلوا عليها بعض التعديلات حتى لا يتهموا بالتقليد ولكن جاءت النتائج سلبية للغاية وظل نظام « الوما » فريداً متميزاً .



شركة الوماكو ... ومشروعات طموحة ..

الوما في مصر لأول مرة

ومع ازدهار حركة البناء في مصر كان لا بد لنظام « الوما » ان يساهم في تطور البناء الحديث ، وفي بداية شهر مارس من هذا العام ١٩٨١ تم افتتاح « شركة الوماكو » التي رسمت لها مجموعة أهداف أهمها :

١ ــ دراسة وتمويل المشروعات العمراينة
٢ ــ أعمال المقاولات وخاصة بناء الهياكل الخرسانية باستخدام نظام الوما .
٣ ــ توفير مواد البناء الحديثة .

وتقوم الشركة الان بالمشاركة في عدة مشاريع أهمها :

١ ــ مشروع تريومف سنتر لشركة ملاكو ايمار انترناشيونال الشهيرة .
٢ ــ مشروع تحرير سنتر لشركة ملاكو ايمار انترناسيونال الشهيرة .
٣ ــ مشروع امتداد كوبري ٦ أكتوبر للمقاولين العرب .

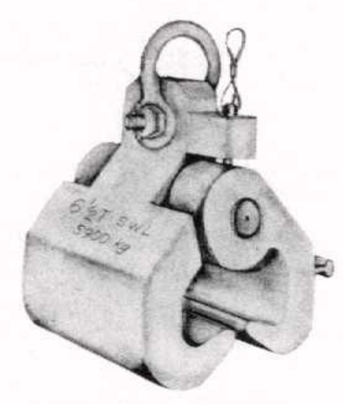
وعلى الرغم من قصر عمر شركة « الوماكو » لكنها استطاعت أن تلفت أنظار الكثيرين خاصة المتمين بتوفير العماله وتنفيذ مشروعاتهم بمستوى رفيع ...

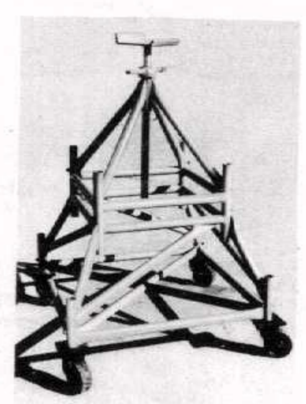
مزايا فريدة في نظام « الوما »

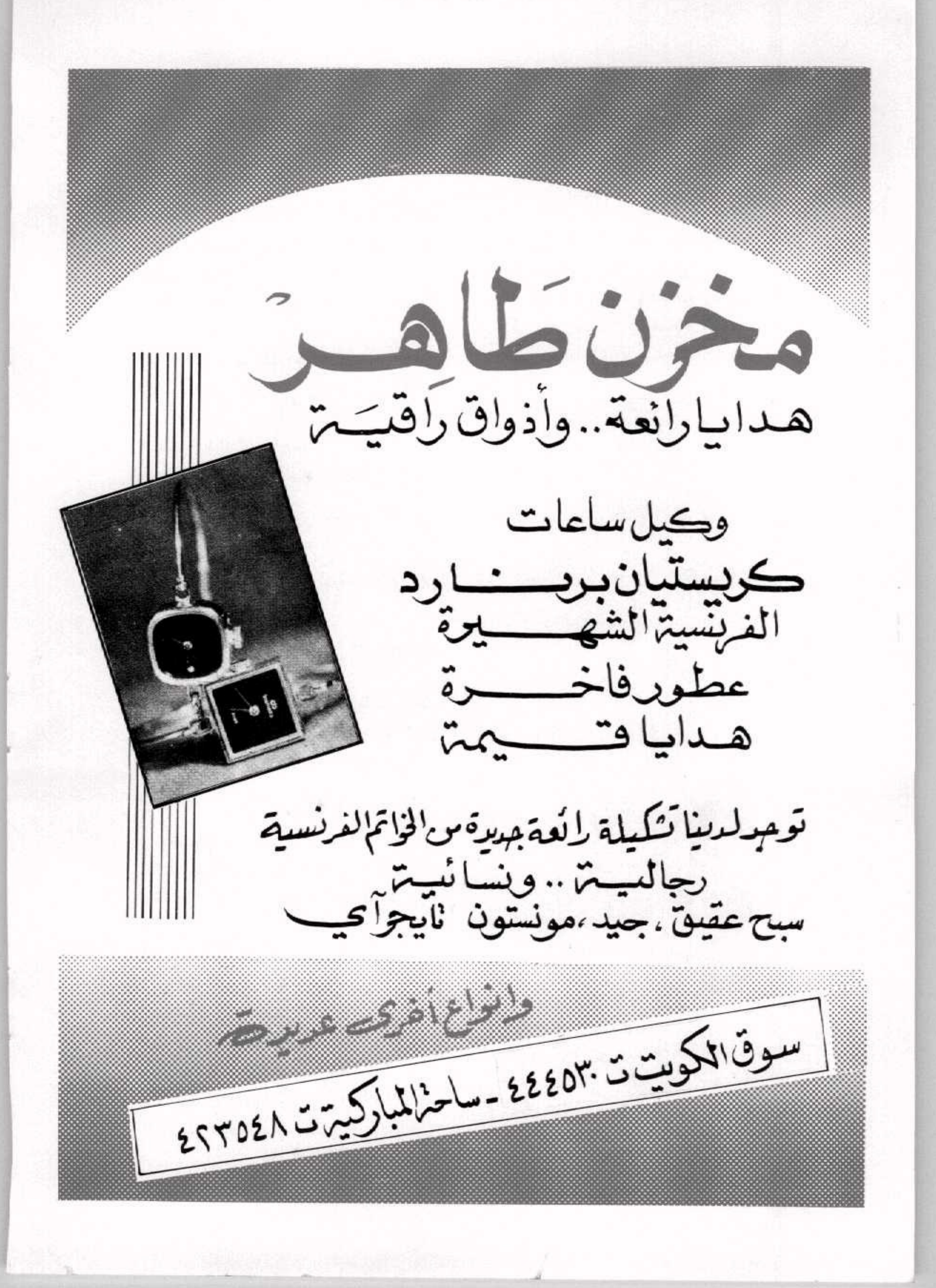
ونستطيع أن نوجز مزايا شدات الوما التي حظيت بثقة خبراء البناء في معظم بلاد العالم والتي أدخلت الى مصر بواسطة شركة « الوماكو » في الآتي .

١ ــ سرعة في انجاز المشروعات .
٢ ــ توفير كبير في تكلفة العماله .
٣ ــ مرونة في الاستعمال .
٤ ــ عدم فقد الشدات نتيجة التأكل أو الصدأ كما هو الحال في الشدات الحديد مثلًا .
٥ ــ خفة الوزن وبالتالي تقليل في تكلفة النقل .
٦ ــ عدم تأثرها بتغيرات الطقس .
٧ ــ كفاءة عالية في التشغيل حيث يمكن صب وتشكيل سقف وأعمدة المبنى . مهما كانت مسطحاته في مدة تقل عن اسبوع .

.. والحديث عن كل مزايا شدات الوما يطول ويطول ولكن يكفي أن نقول إن نظام « ألوما » قد حقق وبعمق الحكمة القائلة « الوقت من ذهب »







مخزن طاهر
هدايا رائعة.. وأذواق راقية
وكيل ساعات
كريستيان برنارد
الفرنسية الشهيرة
عطور فاخرة
هدايا قيمة
توجد لدينا تشكيلة رائعة جديدة من الخواتم الفرنسية
رجالية .. ونسائية
سبح عقيق ، جيد ،مونستون تايجرآي
وأنواع أخرى عديدة
سوق الكويت ت ٤٤٤٥٣٠ - ساحة المباركية ت ٤٢٣٥٤٨


المركز العربي للإعلام
THE ARAB INFORMATION CENTRE
إنتاج وتسويق الدعاية والإعلان
مطبوعات
أفلام
هدايا سنوية
يافطات
تصميم شعارات
إستشارات فنية